الباب الثالث

أبحاث ودراسات فى محاور الثقافة

١ – دور التربية فى تنمية الرأى العام المثقف.

٢ – التربية طريقاً للتنوير عند رفاعه الطهطاوى.

٣ – دور الانسان الثقافى فى تحقيق التغير المخطط.

obeikandl.com

obeikandl.com

دور التربية فى تنمية الرأى العام المثقف
«دراسة ميدانية»

مقدمة :

عندما ظهرت الثورة الصناعية فى أوروبا وانتقلت المجتمعات الأوروبية بسرعة من العصور الوسطى الى العصر الحديث ترتب عليها تحكم الالات فى الانسان، وأصبح عبداً لها وترساً فيها.. ومن ثم كان من الضرورة أن يصاحب هذا التقدم المادى تقدما فكريا حتى لا يقع الانسان فى هذه المادة ولا يستطيع الإفلات منها،ويعجز عن تطوير هذه الآلات وتطويعها لصالحه فتنتهى، وينتهى كل ما صنعه لخدمة تقدمه الحضارى[١].

ولما كان التقدم الحضارى حلقة فى سلسلة تطور الانسان وثقافته، لذا كان من الضرورى أن يصاحب التقدم المادى والفكرى جانب تثقيفى تقوم به التربية، بمؤسساتها وتنظيماتها الاجتماعية المختلفة[٢].

وحيث تعتبر التربية ومؤسساتها المختلفة من أهم الوسائط، التى تضطلع بمسئولية تكوين الأفراد والجماعات المثقفة، التى تتمتع بآراء ايجابية، تخدم التطور والتقدم من خلال ما تملكه من امكانات لها المقدرة فى الدفاع عن الخير والصواب[٣].

ومن هذا المنطلق، فإن المجتمعات التى لا تتمتع بتربية متطورة، يعانى أفرادها من التخلف الثقافى وسوء المنقلب. والمتفحص لخريطة العالم الثالث بمجتمعاته المختلفة يرى بوضوح المحنة الثقافية التى يعانيها الافراد نتيجة تخلف التربية فى هذه المجتمعات ، ويفرض هذا على المجتمعات أن تهب من غفلتها لتعد أفرادها بصورة، تؤهلهم للمشاركة بالفكر والرأى فى نقل مجتمعاتهم من حالة التخلف الى حالة أكثر تقدماً.

ولما كان اعداد الافراد للمشاركة بالرأى والفكر فى التقدم يتطلب نوعية خاصة من البشر، على وعى بتخلف مجتمعاتهم، ومن ثم سعى دائم لمعرفة أسباب التخلف، وكيفية التخلص منه، فلن يتحقق ذلك الا من خلال التربية، التى تنمى الرأى العام المثقف القادر على الدفع للأمام، لا الجذب الى الخلف واعاقة المسيرة التنموية.

مشكلة البحث وأهمية دراستها :

تؤكد الادلة أن ما تعانيه الدول النامية – ومنها مصر – من مآزق اقتصادية واجتماعية، وتنحدر فيه من منحنيات وعرة وطرق معوجة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مرجعه عجز التربية فى تنمية الرأى العام المثقف والمستنير القادر على الحوار والمناقشة والنقد للصالح العام.

لذا تتجه السياسات العامة للدولة حاليا عند اعداد برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية أن تسبقها تنمية للافراد وتنمية للاطر الفكرية؛ حتى يمكن استقامة الرأى العام وانارة جوانبه، حتى تكتمل المنظومة الكلية للمجتمع وتقوى بناءاته الاجتماعية.

ولا تقتصر سياسة الدولة فى تنميتها للافراد على تطوير المناهج واعداد المعلم كمتطلبات للنظم التربوية، بل إنها تسهم فى تطوير الأنظمة ذاتها تطويراً شاملاً، إيماناً منها بأهمية دور هذه الأنظمة فى تزويد الافراد بمجموعة من السمات العلمية والثقافية والاجتماعية وغيرها من السمات المرتبطة بتنمية الرأى العام المثقف، القادر على مواجهة التحديات العصرية، والتوافق معها بدلا من التكيف السلبى لها؛ أى إن مسئولية هذه الأنظمة هى اعداد الشخصية القومية، التى من سماتها التمتع بالقدرة على بناء رأيها على أسس علمية.

وفى ضوء هذه المؤشرات تتحدد مشكلة البحث فى بيان المتطلبات التربوية لتنمية سمات الرأى العام المثقف، وتجنب المخاطر المترتبة على عدم وجود رأى عام مثقف فى المجتمع.

وتنبع أهمية هذا البحث من تركيزه على توضيح العلاقة بين التربية وتكوين الرأى العام المثقف، وذلك من خلال :

١ – القاء الضوء على سمات الرأى العام المثقف وفلسفته.

٢ – توضيح المخاطر المترتبة على غياب الرأى العام المثقف بين أفراد المجتمع.

٣ – اظهار دور التربية فى تنمية سمات الرأى العام المثقف بين الافراد.

٤ – امداد القائمين على التربية بالمقترحات، التى تساعدهم فى اختيار سبل تنمية سمات الرأى العام المثقف.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى تعرف سمات الرأى العام المثقف، التى ينبغى أن يتحلى بها خريجو الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة، وتحديد المتطلبات التربوية لتنمية هذه السمات.

أهم الدراسات السابقة :

هناك عديد من الدراسات التى تناولت الرأى العام بصفة عامة، وأكدت على أهميته، وأن هذه الدراسات والبحوث تعرضت لجانب أو آخر من جوانب موضوع الدراسة، وهى دراسات لها أهميتها وقيمتها، وقد استفاد الباحث من النتائج، التى توصلت اليها فى تقديم الإطار النظرى، والتوصل الى الدراسة الميدانية التى تدعم الإطار النظرى.

ومن خلال حصر ما تم من دراسات سابقة.. لم يجد الباحث – على حد علمه – دراسة تناولت موضوع البحث الحالى، ونعرض فيما يلى أهم هذه الدراسات:

(١) دراسة محى الدين عبدالحليم (١٩٧٨)[٤] :

استهدفت الدراسة تعرف الإعلام الدينى فى ج. م. ع، والأثر الذى يتركه على الرأى العام، والدور الذى يمكن أن يؤديه فى حياة الشعب المصرى.

وقام الباحث باستخدام المسح الاجتماعى، ودراسة مبدائية اعتمد فيها على المقابلة الشخصية، وتطبيق استبيان على عينة قوامها ٦٠٠ مبحوث، تم توزيعهم بصورة متساوية على ثلاث قرى من محافظات المنوفية، وأسيوط، والجيزة.

ومن خلال تحليل الدراسة الميدانية.. توصل الباحث الى عديد من النتائج المتصلة بالدراسة الحالية، أهمها : أن معدلات الاستفادة من وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرى تزداد ارتفاعاً، كلما زاد ارتفاع مستوى التعلم عند الفرد، وكلما صغر سنه، وأن الإعلام العام بوسائله المختلفة يؤدى دوراً فعالاً ومؤثراً فى تنمية الرأى العام المستنير.

(٢) دراسة رجاء نور محمود (١٩٨٨)[٥] :

استهدفت هذه الدراسة تعرف جوانب الرأى العام الاسلامى، والكشف عن مكانته المرموقة فى التصدى للرأى العام المضاد، وقد استخدمت الباحثة المنهج التحليلى، كما استعانت بالمنهج التاريخى لتتبع الوسائل والأساليب، التى استخدمت فى تكوين الرأى العام الإسلامى فى صدر الاسلام.

ومن خلال تحليل الدراسة.. اتضح أن :

تكوين الرأى العام الاسلامى عملية متكاملة ومتتابعة الحلقات، تبدأ بتكوين الآراء لدى الغالبية العظمى من المسلمين إزاء المسائل والقضايا، التى تجذب الاهتمام العام، وتنتهى بعملية صنع القرار والتعبير الذاتى عن الاهتمامات، وأن الرأى العام الإسلامى يستند إلى قاعدة ثابتة من الشرائع والأحكام، وهى شرائع وأحكام تستمد قدسيتها من قدسية صانعها، وأن ثبوتها هو مصدر قوتها، وأن قدسيتها هو سر تمسك الرأى العام الإسلامى بها وقيامه بالدفاع عنها، كما ان الرأى العام الإسلامى يعالج جميع قضاياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية من منظور إسلامى.

(٣) دراسة صابر جارحى محمد (١٩٨٨)[٦] :

استهدفت الدراسة تعرف مدى تأثر الرأى العام المحلى بسوهاج بالصحافة القومية والحزبية إزاء قضية انتخابات مجلس الشعب لعام ١٩٨٧ . وقد استخدم الباحث المنهج الوصفى، كما قام بدراسة ميدانية، طبق من خلالها استبيانات على عينة مكونة من ٥١٠ أفراد من كبار الموظفين فى الهيئات الحكومية المختلفة، وبعض معلمى المدارس الثانوية ورجال الدين والقيادات النقابية المختلفة، وأساتذة الجامعة بمحافظة سوهاج.

وكان من أهم النتائج التى تتصل بالبحث الحالى ما يلى :

١ – أن هناك عوامل كثيرة ومتداخلة تؤثر على الرأى العام المحلى، كالاسرة والدين والعادات والتقاليد والقيم المتوارثة، والتعليم، وقادة الرأى، ووسائل الاتصال الموجهة.

٢ – أن الرأى العام المحلى أكثر تأثيراً فى الرأى العام الوطنى بالعادات والتقاليد والقيم والعرف، وأقل تأثرا بوسائل الضبط الاجتماعى القانونية.

٣ – أن هناك علاقة تأثيرية متبادلة من الصحافة والرأى العام؛ حيث يؤثر كل منهما فى الاخر، ويتأثر به، كما أن قوة ونفوذ كل منهما هو نتاج لقوة ونفوذ وخطورة الآخر.

أسئلة البحث :

فى ضوء هدفى البحث.. يتضح أن الدراسات السابقة، وما أسفرت عنه من نتائج لا تنفى قيام هذه الدراسة، التى يحاول الباحث فيها الإجابة عن السؤال الرئيسى التالى:

ما دور التربية فى تنمية الرأى العام المثقف؟

ويتفرع من السؤال الرئيسى، الأسئلة الفرعية التالية:

س ١ : ما مفهوم الرأى العام المثقف وأهميته، ومحاوره، وسماته؟

س ٢ : ما المخاطر المترتبة على عدم توافر الرأى العام المثقف فى المجتمع؟

س ٣ : ما المتطلبات التربوية لتنمية سمات الرأى العام المثقف؟

منهج البحث وأدواته :

تطلب تحقيق هدفى البحث والإجابة عن أسئلته، اتباع الباحث للمنهج الوصفى القائم على تحليل مفهوم الرأى العام المثقف وسماته، وما تفرضه تنمية هذه السمات على التربية من متطلبات.

وقد اعتمد الباحث على أحد أدوات المنهج الوصفى؛ للكشف عن توافر سمات الرأى العام المثقف فى خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة.

حدود البحث :

يقتصر البحث الحالى فى التطبيق الميدانى على محافظة أسوان – كحد مكانى – للأسباب الآتية:

١ – لا توجد دراسات سابقة – على حد علم الباحث – فى هذه المنطقة تناولت هذا الموضوع.

٢ – هذه المحافظة ذات طابع خاص، باعتبارها محافظة حدودية، تتمتع بظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية جعلتها ليست كغيرها من محافظات الصعيد، ومن الضرورى أن يتصف أبناؤها من خريجى الجامعات والمعاهد بدرجة عليا من التثقيف.

تم تطبيق أدوات هذا البحث فى عام ٩٣/٩٢ نظراً لما يلى :

١ – وجود مجموعة من المتغيرات العالمية، التى أثرت على نهج الفكر الثقافى، وأدت الى تعدد التيارات الفكرية والثقافية فى المحافظة.

٢ – عام ١٩٩٣/٩٢ م نقطة تحول فى كثير من الأحداث الاجتماعية والثقافيّة فى المجتمع المصرى، وخاصة ظهور جماعات الإرهاب التى أثرت على كثير من المجالات.

مصطلحات البحث :

على الرغم من اتفاق رجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس الاجتماعى على أهمية الرأى العام.. الا أنهم اختلفوا حول ايجاد تعريف محدود دقيق لهذا المصطلح، وترجع أسباب اختلافهم حول هذا المصطلح الى اختلاف فلسفة كل منهم وطبيعة تخصصه.

من التعريفات الشائعة فى مجال الرأى العام ما يلى :

– تعريف مختار التهامى، الذى يعرف فيه الرأى العام بأنه الرأى السائد بين أغلبية الشعب، فى فترة زمنية معينة لقضية محددة، أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس هذه القضية مصالح هذه الأغلبية أو قيمها مساً مباشراً[٧].

أما إبراهيم إمام فينظر الى الرأى العام على أنه الفكرة السائدة بين جمهور من الناس، تربطهم مصلحة مشتركة، إزاء موقف من المواقف، أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم، أو تتعلق بمصالحهم المشتركة[٨].

ويرى محمد عبدالقادر حاتم أن الرأى العام «هو الحكم الذى تصل اليه الجماعة فى قضية ذات اعتبار لها»[٩].

ويحدده سعيد سراج فى تعريفه بأنه «وجهة نظر الأغلبية تجاه قضية عامة معينة فى زمن معين تهم الجماهير، وتكون مطروحة للنقاش والجدل، بحثاً عن حل يحقق الصالح العام»[١٠].

وطبقا لهذه التعريفات.. يمكن القول بأن «الرأى العام» هو وجهة نظر مبنية على الدراسة والحكم السليم – تبديها الأغلبية تجاه قضية من القضايا المصيرية، التى يثار حولها الجدل والنقاش بين مجموعة من الناس، على درجة عالية من النضج، تؤهلهم للتوصل الى حل يحقق الصالح العام.

الرأى العام المثقف :

يتحدد مفهوم الرأى العام المثقف بمفهوم «الرأى العام»، وكذلك مفهوم «الثقافة»؛ باعتبارها جانباً مهنياً يدل على الدراسة المتعمقة عديد من مجالات المعرفة الانسانية.

ويعرف «منصور فهمى» الرأى العام المثقف بأنه «ذلك القدر المشترك، الذى يترابط به أكبر عدد من الافراد فى جماعة، حين يتضامنون ويجتمعون فى نزعات نفسية موحدة، أو آراء بينية، أو آمال جامعة، يرضاها جميع هؤلاء المتعددين بأفرادهم المتوحدين فى نزعة ورأى وأمل»[١١].

ويفرض هذا التعريف على الشخص الذى يشارك الآخرين فى «الرأى العام المثقف» التمتع بالقدرة على التعاون مع الغير، والاتسام بالمرونة، والتفكير العلمى السليم، والتوافق مع التغيرات المادية والفكرية، والقدرة على مواجهة الغزو الثقافى الخارجى بعقلية ناقدة؛ أى إنه لا يتكيف مع الثورة المعلوماتية تكيفاً سلبياً، فى الوقت نفسه، الذى لا يقف فيه موقف الرافض للحداثة بغثها وسمينها.

إجراءات السير فى البحث :

للإجابة عن اسئلة البحث، اتبعت الخطوات التالية:

– للاجابة عن السؤال الأول : قام الباحث بدراسة نظرية، استطاع فيها تحليل معظم ما كتب عن «الرأى العام» وأنواعه وسمات المواطن، الذى ينتمى الى جماعة ذات «رأى عام مثقف».

– للإجابة عن السؤالين الثانى والثالث، لم يكتف الباحث بالدراسة النظرية لاستخلاص المخاطر المترتبة على عدم توافر «الرأى العام المثقف» فى المجتمع، بل قام بالنزول للميدان لتبين الواقع، ثم قارن هذا الواقع بما ينبغى أن يكون، وخلص من هذه المقارنة بمجموعة من المقترحات والتوصيات الإجرائية، التى تعين القائمين على التربية ومؤسساتها من معالجة القصور، فى سبل تنمية «الرأى العام المثقف» بين شباب الجامعة والمعاهد.

أولاً : الإطار النظرى :

ارتبط التطور فى «الرأى العام» بالتطور فى النظم السياسية واختلاف النظرة لطبيعة السلطة ونظام الحكم السائد، بل وظروف المحكومين، ومن ثم فقد اختلفت طبيعة «الرأى العام» من زمن إلى آخر، ومن مجتمع الى آخر.

والرأى العام – فى أى مجتمع من المجتمعات – له معوقاته المنبثقة من تاريخه وتقاليده وظروفه البيئية وتراثه الثقافى ومناخه النفسى وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومن تجاربه الذاتية، وما يصله من تجارب المجتمعات الاخرى، ومن ثم.. فإن معرفة معوقات الرأى العام فى أى مجتمع تساعد مساعدة فعالة فى استنباط الاتجاهات المحتملة للرأى العام لموضوع معين، وبالتالى تساعد على تحديد وسائل تكوين الرأى العام المثقف(١٢).

وبذلك يعتبر كل منهما مدخلاً رئيساً للتدريب على المشاركة الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ للتأهيل من أجل الحصول على فرص العمل للمشاركة الاقتصادية فى بناء النظام القائم، وبالتالى المشاركة الاجتماعية المترتبة على ذلك، وهذا ما يؤكد مكانه التربية والتعليم فى بناء «رأى عام مثقف»، فى أى مجتمع من المجتمعات.

أهمية تكوين الرأى العام :

لقد أصبح الرأى العام قوة ضخمة وفعالة فى مجتمعنا المعاصر كنتيجة طبيعية لتطور الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وكذلك نتيجة لتقدم أساليب العلوم والتكنولوجيا وانتشار التعليم، وما صاحب ذلك من تقدم هائل فى وسائل الاتصال والمواصلات، وفى أساليب الطباعة والنشر، وتطور أساليب التربية وغيرها من المؤسسات اللامدرسى،ة التى تؤدى دوراً هاماً فى تكوين هذا الرأى(١٤).

وقد كان لقيام التجمعات الجماهيرية الكبيرة فى المدن فى أعقاب الثورة الصناعية، وانتشار المبادىء الديمقراطية بين دول العام والتوسع فى حق الانتخابات وتحرير المرأة، وغيرها من الأسباب، التى ساهمت مساهمة فعالة فى سرعة انتشار الآراء والافكار وبلورتها، فنشأ الرأى العام فى العصر الحديث قوياً، كما أصبح يقف خلف كافة القرارات المصيرية، وبشكل قوة ضغط حقيقية فى النظم السياسية المعاصرة(١٥).

وتظهر أهمية الرأى العام – أيضاً – من أن قادة الدول وحكوماتها يولون اهتماماتهم للرأى العام، ويخضعونه للدراسة والقياس؛ بقصد الوقوف على اتجاهاته، ويحاولون بصفة دائمة استمالة الرأى العام للموافقة على السياسات القائمة، وحتى تأخذ القرارات السياسية صفة التأييد الشعبى، وبذلك أصبح الرأى العام – فى العصر الحديث – من أهم القوى التى تهيمن على مجريات الأمور فى المجتمع(١٦).

ويقوم الرأى العام فى النظم الديمقراطية بمهمة الرقابة الشعبية على السلطة الحاكمة؛ تأكيدا لنظرية سيادة الشعب، التى سادت فى النظم الديمقراطية، ولذلك فقد أصبح تحليل النظام السياسى فى أى مجتمع من المجتمعات يتطلب تحديداً للقوى، التى تشارك فى ممارسة السلطة، والتى تؤدى دوراً فى توجيه النظام، مثل: الأحزاب السياسية، والرأى العام، والدعاية، والصحافة، والمؤسسات التعليمية، وغيرها من القوى الظاهرة والمستترة(١٧).

وقد أصبح الرأى العام يقف خلف صدور القوانين والدساتير؛ حيث يقوم ممثلو الشعب بوضع القوانين والدساتير، التى تتمشى مع رغبات الجماهير وتحقق مصالحهم العامة، وبذلك أصبح الرأى العام هو الواجهة الحقيقية للديمقراطية الشعبية، ولذلك تسعى النظم الديمقراطية لتنمية الوعى السياسى لدى أبناء المجتمع، بتكوين رأى عام مثقف، يمكن من خلاله أن يمارس أبناء الشعب دورهم فى المشاركة السياسية، أخطاراً قد تقع فيها هذه المجتمعات فى غياب هذا الرأى المثقف.

مجالات الرأى العام :

هناك عدة مجالات للرأى العام، تختلف باختلاف فئات المجتمع وطبقاته ومنطقة تواجده، وظهوره بين افراد المجتمع، بالإضافة إلى مدى استمراره ودوامه.

أولاً : مجالات الرأى العام من حيث النطاق[١٨] :

يتأثر الرأى العام بالنطاق الذى يوجد فيه؛ حيث تتعدد مجالات الرأى العام، من حيث النطاق الى :

(١) **الرأى العام المحلى أو الوطنى** : وهو الرأى العام الذى يسود غالبيته أفراد الشعب الواحد حول قضية عامة، تكون محل نقاش وجدل، ويكون المطلوب اتخاذ قرار بشأنها، وتتعلق هذه القضية العامة بالمصلحة العامة.

وينقسم الرأى العام المحلى الى عدة أنواع، حسب تنوع المشاكل، وحسب نوعية الأفراد المطلوبة معرفة ارائهم حول هذه المشاكل، ومن هذه الأنواع ما يلى:

(أ) **الرأى العام الحزبى** : وهو الرأى العام داخل نطاق حزبى سياسى معين، وهذا النوع من الرأى العام يتميز بالتنظيم والتنسيق، ووجود قاعدة له، ومبادىء عامة يلزم بها الأعضاء؛ بحيث تكون هذه المبادىء دستوراً للحزب.

(ب) **الرأى العام النقابى** : وهو الرأى داخل نقابة معينة، ويهتم الرأى العام داخل هذه النقابات – بخلاف الاجتماعات السياسية العامة– بحل مشاكل النقابة وضمان حقوق أفرادها.

(جـ) **الرأى العام النسائى**: وهو الرأى السائد بين نساء المجتمع، بشأن مشاكل المرأة وحقوقها ومساوراتها مع الرجال.

(د) **الرأى العام الزراعى** : وهو الرأى العام السائد بين الفلاحين بالنسبة لمشاكلهم واحتياجاتهم ووجهة نظرهم، تجاه أفضل السبل لتطوير وسائل الزراعة وتحسينها.

(هـ) **الرأى العام الصناعى** : وهو الرأى العام الذى يسود بين أفراد المجتمع الصناعى والمدن الصناعية. ويتميز هذا النوع – الرأى العام بالحركة والنشاط؛

لارتباطه بطبيعة العمل داخل المجتمعات الصناعية والتطور المستمر، الذى يشمل هذه المجتمعات وما يصاحب كل ذلك من مشاكل مستمرة ومهمة، تحتاج دائماً اتخاذ قرارات عاملة.

(٢) **الرأى العام الاقليمى** : وهو الرأى العام السائد بين عدة شعوب متجاورة جغرافياً، وتربطها أهداف ومصالح مشتركة، ومن أمثلة الرأى العام الاقليمى: الرأى العام العربى الذى يتوحد فيه عادة تجاه القضايا المصيرية، مثل: قضية فلسطين، وغيرها من القضايا العربية.

(٣) **الرأى العام الدولى أو العالمى** : وهو الرأى العام السائد بين أغلبية شعوب العالم فى فترة معينة نحو قضية أو أكثر، يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتلمس مصالحها المشتركة أو قيمتها الإنسانية الأساسية مساً مباشراً. ومما لاشك فيه أن الرأى العام العالمى قد أصبح الآن سمة أساسية من سمات المجتمع الدولى المعاصر، وعاملاً مؤثراً لتوجيه السياسة العالمية.

ثانياً : مجالات الرأى العام، من حيث الظهور والعلانية[١٩] :

وينقسم الرأى العام من حيث تواجده وظهوره ووضوحه إلى مجالين، هما:

(١) رأى عام ظاهر :

هو الرأى العام الذى يتم التعبير عنه صراحة بأى أسلوب ممكن، وهو يتم فى الدول التى تتمتع شعوبها بالحرية والديمقراطية، وممارسة حرية الرأى، وحرية التعبير، وحرية الفكر دون قيود. وقد يتم التعبير عن الرأى العام فى المؤتمرات الشعبية، أو فى الانتخابات العامة وغير ذلك من وسائل التعبير عن الرأى العام كالمحاضرات، والندوات، ووسائل الإعلام المختلفة.

(٢) رأى عام مستتر :

ويتصف فيه الرأى العام بالسلبية وعدم الظهور، ويحدث ذلك -عادة- فى الدول التسلطية التى تحرم شعوبها من الحقوق والحريات؛ خاصة حريات الرأى وحرية الفكر وحرية

التعبير. ويظل الرأى العام كافياً وغير ظاهر؛ حتى تتاح له فرصة للظهور، سواء بالثورة أو بتغيير نظام الحكم، وقيام الحكام الجدد بتطبيق الديمقراطية، ومنح الشعوب حقوقه وحرياته.

ثالثا : مجالات الرأى العام من حيث الاستمرار الزمنى[١٩] :

وينقسم الرأى العام من حيث مدى استمراره الى عدة مجالات، هى:

(١) رأى عام دائم :

وهو الرأى العام، الذى يقوم على أسس حضارية وقومية. وهذا النوع من الرأى العام يتصف بصفة الدوام والاستمرار، ما ظلت الاسباب المكونة له باقية ومستمرة.

(٢) رأى عام مؤقت :

وهو الرأى العام الذى ينشأ نتيجة حادث عارض، وينتهى دوام هذا الرأى بمجرد إيجاد الحل المقبول لهذه المشكلة او هذا الحادث. وهذا النوع من الرأى العام لا يصلح – بصفة عامة– لان تقوم عليه دراسات على عكس الرأى العام الدائم، الذى تقوم عليه الدراسات العميقة من جانب المشتغلين بمجالات قياس ودراسة الرأى العام.

(٣) الرأى العام اليومى :

ويتكون من مجريات الامور والحوادث اليومية، وهو رأى تحركه وسائل الإعلام والشائعات والمصالح المباشرة للمواطنين، ويكون قياس هذا النوع من الرأى العام صالحاً؛ لمعالجة قضايا الحياة اليومية للمواطنين.

بعض سمات المواطنين أصحاب الرأى العام المثقف:

(١) المرونة :

يجب أن يتصف كل مواطن بدرجة عالية من المرونة فى التفكير؛ ليحقق منطق العقل فى كل القضايا، التى تعرض عليه ويتعرض لها.

ونعنى بالمرونة حرية التفكير من داخل الاطار العلمى، والذى يحقق مصلحة الفرد الشخصية فى اطار مصالح الآخرين؛ حتى يصبح الكل فى الفرد، والفرد فى الكل[٢١]، وان حدث هذا.. فسوف يصبح المواطن ذا عطاء متجدد للاخرين؛ مما يجعله متميزاً عن بقية الجميع بمرونة عقلية، ويكون واعياً بفروقهم، مدركاً لسلوكيات هذه الفروق، قادراً على أن يطور ما تعلمه لخدمة ما يعتريه من مشكلات، ويجد حلاً مناسباً لذلك، كما يكون مدركاً وبوعى عميق- أن ما يقوم به من تحمل هذا فى حد ذاته خير لمصلحته الشخصية، وخير لوطنه فى المستقبل.

(٢) تنوع مصادر المعرفة :

لما كان الرأى العام يؤسس على الدراسة وإبداء الادلة على صحة الرأى.. لذا فإن الشخص المنتمى لجماعة ذات رأى عام مثقف، يكون فى حاجة ماسة لمجالات المعرفة والثقافة، ومن ثم فهو دائم البحث عن هذه المعارف، إيماناً منه بأهمية ذلك فى تدعيم رأيه.

إن الشخص المنتمى لجماعة ذات رأى عام مثقف، شخص محب للعلماء، مقدراً لجهودهم وما أوجدوه من النظريات والفلسفات، التى غيرت مجرى الكون، ونقلت الإنسان من العصر الحجرى على الارض الى عصر الفضاء، بعد أن كشف العقل أن للمعرفة مصادر متعددة، لا يمكن أن يحصل عليها الإنسان من مكان واحد فقط، بل يجب أن يتعدد اماكنه ومصادره؛ حتى يطوف العقل بكل أرجاء ما يحتاجه من معارف، ويستفيد من كل ما هو ذى فائدة فى المستقبل، ولا أدل على أهمية تنوع مصادر المعرفة لكل من اراد نور العلم أن يقتدى بما حثت عليه الكتب السماوية والأحاديث النبوية الشريفة.

ويؤكد هذا أهمية تنوع مصادر المعرفة؛ لتكوين إطار ثقافى، لا يستمد من جهل[٢١].

(٣) البحث عن مفاتيح العلم :

يحتاج المواطن المنتمى إلى جماعة صاحبة الرأى العام المثقف الى أن يكون واعياً ومدركاً لأهمية العلم ومفاتيحه، ولا يتوانى فى بذل المزيد من السعى؛ للحصول على هذا العلم؛ حتى يكون قادراً على استيعاب أكبر قدر من مصادر المعرفة، مهما اختلفت اتجاهاتها وتعددت بيئاتها؛ ليتسع أفقه وتتسع مداركه ليكون ايجابياً فى مشاركته لكل حوار بناء، يعود

عليه بالفائدة[٢٢] ويحتاج كذلك أن يكون متمكناً من لغته القومية، ومضطلعاً بلغة أجنبية، يستطيع من خلالها أن يرقى بفكره ويفيد نفسه ووطنه.

(٤) التفكير العلمى :

يعتبر التفكير العلمى إحدى السمات الرئيسية للمواطن المنتمى الى جماعة، تتميز بالرأى العام المثقف – لانه يمثل كلمة العقل والمنطق، ويحقق البعد عن كل خطأ يمكن ان يقع فيه الانسان، كما أن أهمية الرأى العام المثقف بالنسبة للمواطن تجعله محدداً أهدافه فى الحاضر والمستقبل، مدركاً لطرق تحقيق ذلك بفكر ووعى مستنيرين.

(٥) تقبل التغيير :

إن عمليات التغيير التى تعترض حركة حياة الفرد والجماعة تحتاج دائماً الى فكر مستنير ومثقف، يقبل هذه التغييرات، ويستفيد من الصالح منها ويتجنب السلبيات.

ولان التغيير سنة الحياة، فلابد للإنسان الواعى أن يعمل دائماً على أن يكون لديه الاستعداد الذهنى والنفسى؛ لتقبل هذا التغيير، والإسهام مع جموع الافراد فى مسايرة هذا التغيير، وأن يكون دائماً للأفضل والأصلح.

(٦) القدرة على الاستفادة من التكنولوجيا :

من الضرورى أن المواطن المتمتع بالثقافة العامة والرأى المستنير أن يكون مدركاً لطبيعة التكنولوجيا، ومعترفاً لمميزاتها، مستفيداً من ايجابيتها، بعيداً عن شرها؛ حتى يستطيع حل المشكلات، التى تعترض حياته اليومية فى المنزل والعمل. ولاشك أن طبيعة التكنولوجية تتمتع بعمق وشمول فى تشكيل وتطوير نمط المجتمعات العصرية، ويمكن أن نقدم عديداً من التسهيلات التى يحتاجها الإنسان، ويمكنه من السيطرة على الأرض بكل اتساعها واطرافها المترامية؛ حتى تصبح بلدان العالم فى كل القارات قرية صغيرة، وكل ذلك لا يمكن أن يتم دون أن تكون هناك افراد وجماعات تلتقى بفكرها؛ من أجل تطوير مجتمعاتها.

(٧) القدرة على التوافق مع التغير الثقافى، ومواجهة ما يترتب عليه :

وذلك لأن العقدين الأخيرين شهدا عديداً من المشكلات، اهمها التناقض بين ثقافة الشخص، وما تقدمه المؤسسات الثقافية، والخواء الثقافى، وعزلة بعض المثقفين وعدم قدرتهم على العطاء، وإخفاق الحركة العقلية التى ينتج عنها تمزق فى الكيان الحضارى، وهذا من شأنه أضعاف الرأى العام المثقف.

من هذا المنطلق.. فإن سيادة الرأى العام المثقف بين جماعة من المواطنين تتطلب بالضرورة أن يتمتع كل عضو من أعضاء هذه الجماعة بإطار مرجعى، يؤهله لنقد كل جديد والقدرة الدفاعية؛ لحماية نفسه من الأفكار الهدامة، وتحقيق الأمن الثقافى له ولمجتمعه المحلى والقومى(٢٣).

(٨) التمييز بالطابع القومى :

الذى يظهر بوضوح فى المشاعر والسلوكيات المعبرة عن شدة الانتماء؛ إذ إن المواطن المنتمى لجماعة تتمتع بالرأى العام المثقف، يشعر شعوراً خفيا بشدة اتصاله بوطنه.

المخاطر المترتبة على عدم توافر الرأى العام المثقف فى المجتمع:

هناك مخاطر عديدة يترتب على غياب الرأى العام المستنير لدى الشعوب المختلفة، التى تفتقد إلى اطار ثقافى يحميها من هذه المخاطر، ونظراً لتعدد هذه المخاطر وصعوبة حصرها.. يتناول البحث بعض المخاطر السياسية الاقتصادية والاجتماعية، المترتبة على عدم توافر هذا الرأى العام المستنير:

أولاً : المخاطر السياسية:

تنبثق السياسة من الفكر السياسى، الذى يبحث دائماً عن الفضيلة والعدالة والحرية والواجب والمساواة، وما الى ذلك من مصطلحات، تعنى خير الإنسان وسعادته. ولان السياسة فى المقام الأول نشاط ضمن عمليات النظام الاجتماعى.. فإنها انها تتضمن التعاون وتبادل المصالح والمنافع، وتحسين أوضاع الجماعة، وإزالة الشقاق والصراع بين الأفراد، حتى تتطور

حياة الجماعة، بحثاً عن توفير سبل الأمن والطمأنينة والحماية لأعضائها؛ لذا يعتبر الرأى العام المستنير هو الغرس لثمار ما سبق(٢٤).

ومن أبرز صور المخاطر السياسية المترتبة على عدم تكوين رأى عام سياسى مثقف ما يلى:

أ- **الديكتاتورية** : والمتمثلة فى سيطرة القلة من مصائر الجماعة، مضافاً إلى ذلك أن مصالح الجماعة لا تلقى الأهمية لدى القلة المسيطرة، وقد عانى المجتمع المصرى قبل الثورة أنواعاً كثيرة من الديكتاتورية، وكان ذلك نتيجة مباشرة لغياب الرأى العام المثقف، الناتج عن القصور فى التربية السياسية والتعليم.

ب - **الظلم والاستبداد** : يعتبر الظلم والاستبداد إحدى صور المخاطر السياسية المترتبة على غياب الرأى العام السياسى المثقف، فقد تعرض أبناء الشعب المصرى فى فترات كثيرة من تاريخهم الطويل عديد من الوان الظلم والاستبداد، وكان من أبرز صوره عدم قدرة الشعب المصرى على اختيار نوابه وممثليه فى المجالس النيابية والبرلمانية؛ نتيجة لظلم واستبداد الحكام، وعدم وجود رأى عام مستنير، يدافع عن الغالبية العظمى من أبناء المجتمع.

جـ - **الطغيان** : يسهم الطغيان السياسى فى سدل ستائر الجبن على أبناء الشعب؛ للمطالبة بحقوقهم خوفاً واتقاءً من شر نقمة الطاغية، ولذلك تكمم الأفواه ويموت الحق فى حناجر أصحابه(٢٥). وقد حدث ذلك كثيراً فى المجتمع المصرى، فى فترات تاريخية متفرقة؛ خاصة حينما تغيب فئة من الشعب تضحى بحياتها من أجل شعبها، وهذه الفئة تمثل الرأى العام المثقف، التى طالما يحرص الطاغية على قهرها واغتيالها مرة علناً، ومرات عديدة بالمؤامرات والخديعة، وهذا ما يحتاج الى ضرورة تكوين رأى عام مثقف بين جموع الشعب، وليس بين فئة قليلة منه ،حيث إنه إذا تمكن الخوف من قلب انسان مقدم عن اقتحام المشكلات ومواجهة الصعاب،(٢٦).

ثانياً : المخاطر الاقتصادية :

تشكل المخاطر الاقتصادية المترتبة على عدم وجود رأى عام مثقف، خطورة أمام تقدم المجتمعات وتنميتها، وذلك ليقضى الوعى والمعرفة بالحقوق والواجبات الأساسية التى تسهم

فى توازن الحركة الاقتصادية فى أى دولة من دول العالم- ولذلك نجد ان الدول التى لا تحرص على وجود رأى عام مثقف هى دول فقيرة، ولا تصل شعوبها إلى حد الكفاية، كما يعانى الكثير من صور الفقر وتدهور الاحوال الصحية.

ومن أبرز صور المخاطر الاقتصادية المترتبة على عدم وجود رأى عام اقتصادى مثقف ما يلى:

١ - سلبية الشعب نحو المنتجات الوطنية :

كثيراً ما تعانى جموع الشعب فى الدول النامية من عدم مشاركتهم، حينما يرغبون عن منتجات تتناسب وحاجياتهم الاقتصادية؛ مما يترتب عليه عدم استخدامها أو سوء استخدامها، وكل ذلك يضر باقتصاديات الفرد والمجتمع؛ مما يؤدى الى انخفاض المستوى الاقتصادى العام بالمجتمع(٢٧).

وقد عانى المجتمع المصرى كثيراً من مثل هذه الأمور؛ خاصة فى عدم استطلاع رأيه فى نوع المنتج الذى يريده، والذى يتناسب مع ذوقه ودخله، فكانت النتيجة إهمال المنتج الوطنى، والسعى الى المنتجات الاجنبية التى راعت مالم يستطع ان يحققه له وطنه.

٢ - عدم المشاركة فى برامج التنمية :

تعرض الحكومة كثيراً من برامج التنمية، وتطلب من أبناء الشعب المشاركة فيها، وكثيرا ما تجد إحجاماً عن المشاركة وليس هذا بالطبع مشكلة شعب، ولكن هى مشكلة إدارة حكومات غير واعية، لم تشرك أبناءها فى وضع خطط التنمية ومطالبها؛ حتى يستطيعوا أن يشعروا شعوراً تاماً بأنهم أصحاب الرأى وأصحاب العمل والتنمية(٢٨). وبذلك يقع التدهور الشديد لبرامج التنمية ومعدلات الاستثمار، وابلغ ما نلحظه من ذلك ما يعانيه الآن صندوق القروض الاجتماعية لشباب مصر لحل مشكلات البطالة، وعدم التفاعل معه؛ نتيجة انعدام الرأى العام المثقف بين شباب المجتمع.

٣ – انتشار البطالة والبطالة المقنعة :

عند عدم وجود الرأى العام المثقف بين أبناء الأمة.. يتهافت الشباب على الوظائف الحكومية، حتى اذا كانت غير مناسبة له، أملاً فى الالتحاق بوظيفة، يؤمن بها مستقبله رغبة منه فى العمل فقط، بصرف النظر عن ملاءمة هذه الوظيفة لرغبته ومؤهلاته، ويكون هذا بفعل إدراكه لما يعود عليه وعلى وطنه من مصلحة عامة وخاصة.

ومن هذا المنطلق.. يزداد حجم البطالة،.. وتكدس العمالة ويقل النمو الاقتصادى فى الوطن باختلال هيكل العمالة وسوء تقسيم العمل وعدم التعاون بين وحدات الإنتاج، وعدم ترك الفرصة المناسبة للشخص المناسب، وهذا يستدعى أن يكون شباب الامة على وعى كامل بمقدراتهم ومقدرات وطنهم؛ حتى ينمو الاقتصاد القومى، ويقوى ويكون قادراً على تحمل تبعات المستقبل المنشود، ومن يكون ذلك إلا من خلال غرس ثقافة اقتصادية بين هؤلاء الشباب على مختلف مستويات التعليم.

ثالثا : المخاطر الاجتماعية :

يؤدى الرأى العام المثقف دوراً فعالاً فى رعاية المثل والقيم والمبادىء والأخلاق التقويمية، والسلوك، الذى يناسب كل ما سبقه، والتى تتمشى مع الإطار الثقافى للمجتمع.واذا غاب الرأى العام المثقف.. فإن القيم والعادات تهتز وتختل؛ مما يدفع القانون الوضعى إلى ان يشدد فيما يضع من عقوبات للمحافظة على هذه القيم والعادات.

ومن أهم صور المخاطر الاجتماعية لعدم وجود رأى عام مثقف، ما يلى :

أ – سرعة انتشار العادات السيئة :

فى غياب الرأى العام المثقف الذى يمثل إطاراً مرجعياً بكل القيم والعادات الثابتة، التى يحافظ عليها المجتمع، يظهر كثير من العادات، التى يبثها أعداء ثقافة المجتمع، ولقد تعددت انواع الغزو.. التى تسعى الدول المتقدمة لنشرها بين شباب الدول النامية، واستطاعت بذلك ان تبث سمومها فى أوردة عديد من المؤسسات الثقافية، التى فقدت هويتها، وأصبحت تنشر من العادات السيئة ما لا يتفق مع العادات الأصلية للمجتمعات، التى توجد فيها.

والانحراف والتطور والإرهاب الذى انتشر فى الفترة الأخيرة فى قطاعات المجتمع، هو عبارة عن إشارة حمراء، تضىء لكل مسئول أن يبحث عن الأسباب الحقيقية والجوهرية، التى وصلت بأبناء المجتمع الى هذا المستوى، الذى لم تشهده المجتمعات من قبل، وبهذه الصورة التى تعانى منها جميع فئات الشعب.

ب - زيادة اللامبالاة والاتكالية :

من الاعتبارات الاجتماعية الخطيرة التى تظهر فى الدول النامية، والتى لا يتمتع شعبها برأى عام مثقف لانتشار اللامبالاة، متمثلة فى الاتكالية على الأجهزة الحكومية ومؤسسات الدولة؛ مما يحملها مزيداً من الأعباء، ولا تجد سياجاً أمنياً من خلال الفكر المستنير، الذى يبعدها عن الوقوع فى الهوة التى تجعل جموع الشعب تعانى منها ،ولا يفكر فى التخلص منها لانتفاعها بأن ذلك من الادوار، التى تضطلع بها الحكومة فقط، ولكن الأمر فى حد ذاته يرجع لعدم وجود رأى عام مثقف بين هؤلاء الافراد.

جـ - اتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية :

كثيراً ما ترى فى الدول النامية التى سيطرت طبقة وتميزت على أبناء الشعب. وأبناء هذه الطبقة هم صفوة المجتمع وقادته، وهؤلاء يعملون دائماً على إقصاء بقية العناصر المتميزة فى طبقات الشعب المختلفة؛ حتى يكون لهم الحظ الأوفر فى السلطة والجاه والمال واستغلال بقية الأفراد لحسابهم(٢٩).

ومهما تسرع طبقات المجتمع الاخرى والتى تشكل الغالبية العظمى للسكان للحاق بالطبقة التى تعلوها .. فهى عاجزة عن تحقيق ذلك لما تعانيه من فقر وخضوع، عاشته فترات طويلة من الزمان، وأسهم فى وجوده قلة رأى عام مثقف بين الأجيال، تثير حماسهم وتحث همتهم نحو نبذ هذا الخضوع وهذه الاستكانة، أملاً فى تحقيق منزلة اجتماعية أفضل، ومحاولة تجنب ما تقوم به هذه الطبقة المميزة عنهم.

هذا يعطى جوانب الرأى العام المثقف، وما يترتب على عدم توافره فى المجتمعات من مخاطر سياسية واقتصادية واجتماعية وسياسية، تظهر بوضوح فى الديكتاتورية، والظلم

والاستبداد، والطغيان والسلبية ،وعدم المشاركة فى برامج التنمية والبطالة، وانتشار العادات السيئة واللامبالاة والتواكل، واتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية.

ب – الدراسة الميدانية

يتناول هذا الجانب من الدراسة أهداف الدراسة الميدانية وأدواتها وعرض نتائج الدراسة ثم تحليلها، حتى تتعرف الواقع الفعلى لسمات الرأى العام المثقف، ومخاطر عدم وجوده بين شباب خريجى الجامعات والمعاهد، ثم تعرف المتطلبات التربوية، التى يمكن أن تسهم فى دعم مقومات تكوين الرأى العام المثقف.

١ – أهداف الدراسة :

فى ضوء مشكلة البحث وأهدافه.. فإن الدراسة الميدانية تحاول تحقيق ما يلى:

١ – الكشف عن مدى توافر سمات الرأى العام المثقف بين خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة.

٢ – معرفة مدى الموافقة على مخاطر عدم وجود رأى عام مثقف بين الشباب.

٣ – تعرف المتطلبات التربوية الضرورية لتحقيق رأى عام مثقف.

أدوات الدراسة : لتحقيق أهداف الدراسة، حاول الباحث الاستعانة بإحدى أدوات الدراسات الميدانية، وهو الاستبيان للكشف عن الواقع الفعلى لمشكلة البحث بصورة موضوعية تحقق المزيد من الثقة فى الدراسات التربوية التى هى فى حاجة الى التدعيم الموضوعى للوصول الى بداية الدراسات فى العلوم الطبيعية.

اعداد الاستبيان : مر إعداد الاستبيانات بعدة مراحل، نجملها فيما يلى:

١ – إعداد قائمة لاهم السمات التى يجب ان تتوافر فى خريجى الجامعات والمعاهد؛ للوصول الى أدنى درجة من تواجد الرأى العام المثقف.

obeikandl.com

٢ – تحديد العبارات المناسبة لإظهار هذه السمات.

٣ – اعداد قائمة وتحديد عبارات المخاطر، التى تترتب على عدم وجود رأى عام مثقف بين الشباب.

٤ – تحديد المتطلبات التربوية لمعرفة مدى الموافقة عليها، ونسبة هذه الموافقات بين شباب الخريجين؛ لعلاج الخلل التربوى فى المؤسسات المدرسية واللامدرسية.

٥ – ثم صياغة عبارات كل محور؛ بحيث يكون الاستبيان فى ثلاثة محاور، هى:

أ – محور السمات.

ب – محور المخاطر.

جـ – محور المتطلبات التربوية.

٦ – ثم عرض الاستبيان على لجنة محكمين من السادة، اعضاء هيئة التدريس بكليات التربية والاداب قسم الاجتماع والصحافة بجامعة اسيوط؛ لإبداء الآراء فى وضوح العبارات، ومدى مناسبتها لأهداف الدراسة.

٧ – فى ضوء الآراء الواردة، تم الحذف والإضافة والتعديل، حتى أصبح الاستبيان فى صورته النهائية.

٨ – تم اختبار ثبات الاستبيان بتطبيقه على عينة من خريجى كلية التربية والمعهد العالى للخدمة الاجتماعية، وبعض طلاب الدبلوم العام، الذين يمثلون قطاعات مختلفة من الكليات الجامعة. ثم أعيد تطبيقه على العينة نفسها بعد ١٥ يوماً فكان معامل الثبات ٠,٧٦ وهذا المعامل يمكن الاطمئنان اليه.

٩ – تم الاعتماد على صدق المحكمين فى صدق الاستبيان.

١٠ – أصبح الاستبيان فى صورته النهائية القابلة للتطبيق ملحق (١).

obeikandl.com

تصحيح الاستبيان :

١ – تمت مراجعة الاستبيانات؛ للتأكد من عدم وجود أخطاء تعوق الاستفادة من الاستبيان.

٢ – تم جمع الاستجابات لكل محور فى صورة نسب مئوية.

٣ – تمت مقارنة النسب المئوية لمجموعات عينة البحث؛ لمعرفة الفروق بينها.

عينة الدراسة :

أ – تم توزيع ٤٠٠ استبيان على خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة، وقد تم اختبار العينة من بين هؤلاء لما يلى:

أ – ان الشباب فى هذه السن وصلوا الى درجة معقولة من النضج الثقافى، تؤهلهم لإبداء رأيهم بموضوعية.

٢ – هؤلاء الخريجون أكثر صدقاً للاستجابة عن الطلبة الموجودين فى الدراسة.

ب – تم الاستفادة من ٣٠٠ استبيان صحيح، ويمكن التعامل معها إحصائيا، منها ١٥٠ مؤهلات عليا، و١٥٠ مؤهلات متوسطة.

جـ – تم التعامل من الاستجابات احصائياً من خلال النسب المئوية وقيمه «ذ» كما تعارف عليه إحصائيا.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

لتكملة الاطار النظرى والكشف عن جوانب «الرأى العام المثقف»، قام الباحث بتحليل النتائج، التى أسفر عنها تطبيق اداة البحث على مجموعتى العينة، وذلك على النحو التالى:

– المحور الأول والمرتبط بسمات الرأى العام المثقف:

تركز المحور الأول من الاستبانة على السمات، التى ينبغى أن يتحلى بها الشخص المنتمى لجماعة، تتمتع بالرأى العام المثقف، ويوضح جدول (١) نتائج استجابات مجموعتى العينة.

جدول (١) : يوضح استجابات مجموعتى عينة البحث عن سمات الرأى العام المثقف من الخريجيين

م	العبـــــــــارة	استجابات خريجي الجامعات ٪	استجابات خريجي المعاهد المتوسطة ٪	استجابات العينة الكلية ٪	قيمة (ذ)
١	تتوافر المرونة العقلية بين خريجي الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة.	٤٥	٤٢	٤٣,٥	٠,٥٢
٢	يهتم الخريجون بألوان المعرفة المختلفة لتحقيق ذواتهم	٤٩	**٥٩	**٥٤,٠	١,٧٤
٣	يسعي الخريجون لاكتساب مفاتيح العلم لمساعدتهم في نمو شخصياتهم	٢٩	٣٩	٣٤,٠	١,٨٣
٤	يعتمد الخريجون في حل مشكلاتهم علي أسلوب التفكير العلمي.	٥١	٣٦	٤٣,٥	**٢,٦٢
٥	يتقبل الخريجون كل جديد في مجالات الحياة العملية والعلمية بحذر وخوف.	**٦٩	٥٢	**٦٠,٥	**٣,٠١
٦	يستفيد الخريجون من وسائل التكنولوجيا في حل ما يعترضهم من مشكلات.	**٦٨	٤٩	**٥٨,٥	**٣,٣٤
٧	يتصدي الخريجون للغزو الثقافي المدمر للقيم الثابتة للوطن	**٥٧	٥٢	**٥٤,٥	٠,٨٧
٨	يشعر الخريجون بانتمائهم لوطنهم ويرغبون في التضحية من أجله	**٦٠	٥١	**٥٥,٥	١,٥٧

** دالة عند ٠,٠١

obeikandl.com

لوحظ من خلال عرض النتائج أن أفراد العينة يشيرون الى توافر سمات الرأى العام المثقف فى الخريجين بنسبة ٥٠,٥٪ ، وهى نسبة غير دالة احصائيا ، كما لوحظ التقارب فى استجابات مجموعتى العينة على معظم هذه السمات.

فبالنسبة لمدى توافر السمة الأولى- والخاصة بالمرونة العقلية- يشير افراد العينة الى أن هذه السمة تتواجد بدرجة ضعيفة. وهذا يعنى أن معظم الخريجين فى حالة انغلاق للعقل وعدم التعامل به، وهذه النسب إذا صحت فى المجتمع الحقيقى.. فإن ذلك يؤكد ما يعانيه المجتمع فى الفترات الاخيرة من أنضمام مجموعة كبيرة من الشباب الجامعى، والحاصل على المؤهلات المتوسطة ضمن مجموعة التخريب والتدمير لأصول المجتمع ومقدراته العامة، دون أن يعى أو يدرك أنه يدمر جزءاً من حياته وحياة مجتمعه، وهذا أخطر ما فى الأمر كله.

وبالنسبة الى سعى الشباب اليوم الى تحقيق ذواتهم، من خلال البحث عن سبل المعرفة.. فقد اشارت النتائج الى انخفاض نسبة الاستجابة من خريجى الجامعات والمعاهد العليا عنها فى استجابات المؤهلات المتوسطة مما يشير الى أن طلاب الجامعة غالبا ما يكتفون بما وصلوا إليه.

ويعنى ارتفاع نسبة الاستجابة بين خريجى المؤهلات المتوسطة، رغبتهم فى تحصيل بعض الاشياء التى تساعدهم على تحقيق ذاتهم، وقد يرجع ذلك الى شعورهم بالنقص داخل المجتمع، وادراكهم لذلك بعد التخرج. وعلى الرغم من دلالة النسبة المئوية لخريجى المؤهلات المتوسطة.. الا أنه يوجد فارق بين المجموعتين، يشير الى تأكيد العبارة السابقة، وهى قلة المرونة العقلية كى يحقق الخريجون التعامل مع الوان المعرفة، المطلوب تحصيلها ومعرفة الوانها.

واذا كان خريجو التعليم العالى من الجامعات والمعاهد العليا لا يهتمون بألوان المعرفة المختلفة، من أجل تحقيق ذواتهم.. فإنهم لا يسعون لاكتساب هذه المعارف، ويشاركهم فى ذلك خريجى المعاهد المتوسطة.. أى إن أفراد العينة بمجموعتيها لا يسعون لاكتساب مفاتيح العلم والاكتفاء بما تعلموه فى الكليات أو المعاهد.. وهذه النتيجة تلوح بخطر فادح، يتعلق بوقوف الشباب عند أول درجة وصلوا اليها بعد التخرج دون تجديد، وذلك رغم حاجة العمل فى مجالات التنمية وما تفرضه التطورات العصرية من ضغوط وتحديات، تظهر بوضوح فى الانفجار المعرفى، الذى يقتضى من أبناء المجتمع عدم الجمود، كما أن هذه النتيجة تحتاج

الى بحث مستقل؛ لمعرفة أسباب عدم الرغبة فى البحث عن سبل المعرفة، واستخدام البحث العلمى؛ للحصول على مفاتيح العلم.

وانخفضت النسب كثيراً عن باقى نسب الاستجابة؛ خاصة بين طلاب خريجى الجامعات والمعاهد العليا، وقد يرجع ذلك إلى فقد روح الأمل فى المستقبل أو عدم الاستفادة، مما هو قائم، وبالتالى فلا فائدة مما هو قادم.

اما ارتفاع نسبة الاستجابة – الى حد ما – بين خريجى المؤهلات المتوسطة.. فقد يرجع إلى شعورهم الداخلى ورغبتهم فى تحقيق شىء ما فى حياتهم المستقبلية، التى يشعرون فيها بأنه لا يمكن الاعتماد على شىء، سوى الاعتماد على ذاتهم ونمو قدراتهم.

وتشير النتائج الى انخفاض نسب استخدام الخريجين لأسلوب التفكير العلمى فى حل مشكلاتهم، وعلى الرغم من وجود فارق دال بين المجموعتين لصالح خريجى المؤهلات العليا.. الا أن هذه الظاهرة لا تقتصر على خريجى المعاهد المتوسطة، والذين انخفضت نسبة استخدامهم للتفكير العلمى انخفاضاً كبيراً؛ حتى صارت أقل الاستجابات لهذا المحور؛ مما يشير إلى افتقاد كثير منهم إلى التمتع بالتفكير العلمى واستخدامه فى حل المشكلات؛ حيث تشير النتائج إلى انخفاض نسبة المستخدمين لهذا الأسلوب من خريجى المجامعات والمعاهد العليا عن النسبة المتوقعة؛ خاصة وان المفترض فى هؤلاء الخريجين الاعتماد على أسلوب التفكير العلمى فى حل مشكلاتهم.. أى إنهم كخريجى المؤهلات المتوسطة يتخبطون بشدة فى حياتهم العملية، وفى ممارساتهم لمعظم المجالات والأنشطة، التى تتطلب أسلوباً علمياً للخروج من مآزقها.

ويؤدى عدم استخدام الخريجين للتفكير العلمى فى حل مشكلاتهم إلى الخوف والحذر من كل جديد، فنظراً لعدم امتلاكهم لسلاح التفكير العلمى بالدرجة الكافية.. فإنهم ينظرون برهبة وخوف لكل جديد فلا يقدمون عليه جميعهم، وإنما يقوم من يمتلك هذا السلاح باستخدامه فى تحليل ما هو جديد قبل قبوله أو رفضه.. ويعتقد الباحث أن السبب فى انخفاض الدرجة المعبرة عن موقف افراد العينة من كل جديد الى الصراع الداخلى، الذى يعانى منه الشباب نتيجة التضارب بين معظم المستجدات، وبين الاطار الثقافى الذى تكون لديهم؛ أى نتيجة التضارب بين الجديد والقديم، ويؤكد ما ذهب اليه من أن امتلاك خريجى

التعليم العالى لجزء كبير من مقومات سلاح التفكير يجعلهم أكثر حذراً وخوفاً بالمقارنة بالشباب من خريجى المعاهد المتوسطة، كما يؤكد ما ذهب إليه الباحث من فارق السن بين المجموعتين من الخريجين.

ارتفعت نسبة الاستجابة الإيجابية من خريجى الجامعات والمعاهد العليا فى اعتمادهم واستفادتهم من الوسائل التكنولوجية الحديثة لحل مشكلاتهم، ويرى الباحث أن خريجى الجامعات والمعاهد العليا هم – بالضرورة – أكثر التصاقاً بوسائل التكنولوجيا الحديثة؛ مما يجعلهم قادرين على الاعتماد عليها والاستفادة منها، بينما انخفضت نسبة الاستجابة بين خريجى المعاهد المتوسطة وقد يكون ذلك نتيجة عدم التعامل معها باستمرار، أو معرفة أنواعها الحديثة وأشكالها المتجددة، وبالتالى أشار بعدم الاستفادة منها.

تقاربت نسب الاستجابة بين مجموعتى البحث، وان كانت نسبة الاستجابة مرتفعة الى حد ما لدى خريجى الجامعات والمعاهد العليا؛ مما يؤكد أهمية زيادة عدد سنوات التعليم فى تنمية عقول الشباب، وتأهيلهم للتصدى بفكرهم المستقيم؛ لمواجهة كل غزو ثقافى مدمر للقيم والمثل العليا. وعلى الرغم من ذلك .. فإننا لا نستطيع أن نجزم ان هذه الاستجابات مرضية الى درجة كبيرة، خاصة بين خريجى المعاهد المتوسطة، إذا تعلق الأمر بتغير لملامح الثقافة الوطنية، التى تحتاج إلى حماس كبير فى التصدى لحمايتها والدفاع عنها، مهما كلفهم الأمر من تضحية وبذل وفداء.

ارتفعت نسبة الاستجابة الإيجابية لأفراد العينة بالنسبة للانتماء الوطنى، والرغبة فى التضحية والفداء من أجله؛ أى إن شباب مصر –تحت أى ظرف من الظروف– يعرفون أوطانهم ويضحون من أجلها، بعيداً كل البعد عن أى اعتبارات، تقلل من هذا الانتماء، وذلك رغم انخفاض هذه النسبة بين خريجى المؤهلات المتوسطة، مما يتطلب من المشرفين على هذه المعاهد اعادة النظر فى المقررات، بما يسهم فى دعم هذا الانتماء والولاء للوطن.

– المحور الثانى: المحور المرتبط بالمخاطر المترتبة على عدم توافر رأى عام مثقف

اشارت النتائج الى أن المجتمع الذى يسوده الرأى العام المثقف، هو مجتمع يتسم افراده بالمرونة والاهتمام بشتى الوان المعرفة؛ رغبة منهم فى تحقيق ذواتهم، وإفادة مجتمعهم،

ومن ثم فهم يسعون جاهدين؛ من أجل الحصول على مفاتيح العلم غير متقبلين لأى جديد، الا بعد دراسة ونقد، مستخدمين فى ذلك أساليب التفكير العلمى السليم، هذا بالإضافة الى أنهم- رغم استخدامهم لكل مستحدثات العصر، المحلى منها والمستورد - لا يغتربون عن أوطانهم، بل إنهم يتصدون لكل غزو فكرى، يتنافى مع تقاليد المجتمع وأعرافه.

واذا كان الامر كذلك.. فإن غياب هذه السمات، وعدم وجود من يتحلى بها قد يهدد المجتمع بكارثة لايستهان بها. وللوقوف على مدى خطورة هذا الامر، قام الباحث باستبانة رأى أفراد العينة، فيما يتعلق بخطورة غياب هذه السمات، ومن ثم خطورة عدم توافر رأى عام مثقف.

ويوضح الجدول (٢) نتائج هذا المحور.

جدول (٢) :يوضح أهم المخاطر المترتبة على عدم وجود رأى عام مثقف.

م	العبـــــــــارة	استجابات الخريجين في			قيمة (ذ)
		الجامعات والمعاهد العليا ٪	المعاهد المتوسطة ٪	العينة ككل ٪	
١	تسيطر القلة على مصالح الجماعة في غياب الرأي العام المثقف	**٧٧	**٧٥	**٧٦,٠	٠,٤١
٢	ينتشر الظلم والاستبداد بين افراد الشعب حينما يغيب الرأي العام المثقف	**٧٤	**٧٦	**٧٥,٠	,٤٠
٣	ينتقم الطاغية من الشعب الذي لا يحميه رأي عام مثقف.	**٧٦	**٧٣	**٧٤,٥	,٦٠
٤	تسيطر البضائع الاجنبية على السوق المحلي في غياب رأي عام مثقف	**٨١	**٦٦	**٧٣,٥	**٢,٩٤
٥	تتوقف برامج التنمية في معظم الدول النامية التي لا يتمتع شعبها برأي عام مثقف	**٨٥	**٦٤	**٧٤,٥	**٤,١٧
٦	تنتشر البطالة لاعتماد الشعب على وظائف الحكومة في غياب الوعي الثقافي للشعب.	**٨٨	**٧١	**٧٩,٥	**٣,٥٦
٧	تكثر العادات السيئة مثل الاتكالية واللامبالاة في غياب الرأي العام المثقف.	**٦٥	**٧٧	**٧١,٠	*٢,٢٩
٨	تتسع الفجوة بين الاغنياءوالفقراء في الدولة التي لا يتمتع شعبها برأي عام مثقف.	**٩٢	**٨٦	**٨٩,٠	١,٦٦

* دالة عند ٠,٠٥ ** دالة عند ٠,٠١

يلاحظ من الجدول ان اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، مرجعه عدم تمتع المجتمع برأى عام مثقف، يشارك فيه كل أفراد المجتمع لمناقشة قضاياه ونقل المجتمع من حالة التخلف الى حالة التقدم، ويدعم هذا انتشار البطالة بين الشباب وعدم وجود فرص العمل التى تجتذبهم؛ فيصبحون حاقدين على المجتمع، غير متعاونين مع غيرهم فى إصلاحه؛ خاصة عندما تسيطر القلة على مصالح الجماعة، وينتشر الظلم والاستبداد بين افراد المجتمع، ويقوم الطغاة بالانتقام من المغلوب على أمره... فى مثل هذا المجتمع الذى لا يحميه رأى عام مثقف، تتوقف برامج التنمية المحلية، وتسيطر البضائع الأجنبية على السوق المحلى، وتكثر العادات السيئة.

ويلاحظ من الجدول اتفاق الخريجين بأنواعهم المختلفة على أن اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء فى الدولة، يعد من أخطر مظاهر غياب الرأى العام المثقف، حيث يسير الغنى فى غنا، فى الوقت نفسه، الذى يزداد فيه الفقير فقراً، وهى ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الخطرة، التى تنتشر فى الدول النامية والمتخلفة على وجه الخصوص.

وتظهر النتائج أن سيطرة القلة على مصالح الجماعة من المظاهر الخطيرة لغياب الرأى العام المثقف فى المجتمع، ولا يوجد فارق يذكر بين خريجى التعليم العالى أو المتوسط فى هذا المظهر؛ أى إن مجموعتى العينة يجمعون على أن غياب الرأى العام المثقف يؤدى بالقلة إلى السيطرة على مصائر الشعب واستغلال خبراته، وهذا يقتضى إعادة النظر فى برامج التربية والتعليم بصورة تجعلها قادرة على تأهيل الافراد لمعرفة حقوقهم وواجباتهم، ومن ثم التصدى لهذه الفئة المستغلة.

كما تؤكد النتائج اتفاق مجموعتى العينة على أن انتشار الظلم والاستبداد فى المجتمع يساهم- بجانب تحكم الطغاة- فى مصائر الشعوب؛ مما يؤدى إلى تفككها الى فئات متناحرة، بعضها يناصر الظلم المستبد رغبة فى التقرب اليه، والبعض الاخر يناهض الظالم، ويأخذ على يده، ومن ثم تتفكك المجتمعات، يغيب الإجماع على رأى مستقل مبنى على فلسفة وفكر.. وبهذا تتضح العلاقة بين غياب الرأى العام المثقف وانتشار الظلم والاستبداد؛ حيث يؤدى كل منها إلى الآخر.

ويرى خريجو الجامعات أن غياب الرأى العام المثقف يؤدى إلى عدم مشاركة الشعوب الكادحة فى مجالات التنمية المشاركة الفعالة، ويترتب على ذلك انتشار البطالة السافرة والمقنعة، وارتفاع تكاليف الصناعات المحلية، وعدم قدرتها على المناقشة، ومن ثم تفضيل المستورد عن الإنتاج المحلى وبهذا تسيطر البضائع الأجنبية على السوق المحلى، كما أن عدم قدرة المصنوعات المحلية على المنافسة يؤدى إلى ركودها وعدم رواجها، وهذا من شأنه إيقاف برامج التنمية.

وفى مقابل تفوق خريجى التعليم العالى على خريجى التعليم المتوسط، فى خطورة العوامل الثلاثة السابقة، تتفوق مجموعة خريجى التعليم المتوسط على أقرانهم من خريجى العليم العالى فى أن غياب الرأى العام المستنتير، يؤدى الى انتشار العادات البالية كالتواكل والاستهتار واللامبالاة.

وبصورة أكثر تحديداً.. يلاحظ من النتائج أن غياب الرأى العام المثقف فى أى مجتمع من المجتمعات، يؤدى إلى عديد من المخاطر، أهمها:

١ – عدم مشاركة الأفراد فى خطط التنمية ربما لعدم وجود من يقنعهم، أو عدم تناسبها مع مؤهلاتهم.

٢ – انتشار البطالة بين الخريجين لاعتمادهم على الوظائف الحكومية، وهذا من شأنه اتساع الفجوة بين الفقراء والاغنياء.

٣ – انتشار العادات غير المرغوب فيها كالقدرية والتواكل والاستهتار واللامبالاة.

٤ – انتشار الظلم والفساد نظرا لعدم وجود من يدافع عن المظلومين، ويحميهم من بطش الطغاة، أو سيطرة القلة على الاغلبية.

– المحور الثالث : المتطلبات التربوية لتنمية الرأى العام المثقف:

اتضح من تحليل المحورين السابقين أن الشباب من الخريجين ينقصهم كثير من السمات، التى تؤهلهم للمشاركة مع غيرهم فى تكوين رأى عام مثقف، وأن غياب هذا الرأى فيما بينهم يمثل خطورة على المجتمع. ولهذا كان من الضرورى على أولى الامر الاهتمام

بهذا الجانب التربوى باذلين الغالى والثمين؛ من أجل تنمية السمات، التى تؤهل الشباب للمشاركة بالفكر البناء مع افراد المجتمع الناضجين فى تكوين رأى عام مثقف. ولتحديد المتطلبات التربوية، التى ينبغى توافرها لتنمية الرأى العام المثقف.. قام الباحث باستبانة رأى الشباب من الخريجين، حول احتياجاتهم التربوية فى هذا المجال، ويوضح الجدول (٣) نتائج هذه الاستبانة.

جدول (٣) : يوضح المتطلبات التربوية لتنمية رأى عام مثقف، بين خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة

م	العبـــــــــارة	استجابات خريجي الجامعات ٪	استجابات خريجي المعاهد المتوسطة ٪	استجابات العينة الكلية ٪	قيمة (ذ)
١	ضرورة ربط أهداف المؤسسات التعليمية بأهداف المجتمع.	٩٠**	٧٢**	٨١,٠**	٣,٩٧**
٢	زيادة الاعتماد علي المؤسسات اللامدرسية في تحقيق رأي عام مثقف.	٨٦**	٦٢**	٨٤,٠**	٤,٧٤**
٣	إعادة صياغة المناهج التعليمية بما يحقق المرونة الفكرية.	٩٢**	٨٩**	٩٠,٥**	٠,٨٩
٤	تعويد الطلاب علي التفكير العلمي في الامتحانات.	٩٠**	٨٢**	٨٦,٠**	٢,٠٠*
٥	الاهتمام بإكساب مفاتيح العلم في عقول الناشئين.	٨١**	٧٥**	٧٨,٠**	١,٢٥
٦	الاهتمام بالنشاط المدرسي كأسلوب للتربية والتعليم.	٩٢**	٨٦**	٨٩,٠**	١,٦٦
٧	زيادة جرعات الثقافة الوطنية لحماية الشباب من الغزو القادم.	٨٥**	٧٢**	٧٨,٥**	٢,٧٤**
٨	تعويد الطلاب علي الانتماء سلوكاً وليس حديثا وشعارا.	٩٢**	٧٥**	٨٣,٥**	٣,٩٧**

** دالة عند ٠,٠١

- يتبين من الجدول ما يلى :

أن المتطلب الأول من متطلبات تنمية رأى عام مثقف بين الشباب، يتمثل فى «اعادة صياغة المناهج التعليمية بما يحقق المرونة الفكرية»، وتشير هذه الاستجابات إلى مؤشر مهم وخطر، يتمثل فى عدم صلاحية المناهج بصورتها الحالية فى تنمية رأى عام مستنير، حيث لا يشعر معظم الخريجين بالفائدة منها بعد تخرجهم... ومن ثم.. فإن المناهج الدراسية – من وجهة نظرهم – فى حاجة إلى مراجعة كثير من محتوياتها؛ بحيث يتم تجديدها تجديداً شاملاً يتيح فرص المرونة العقلية والانطلاقة الفكرية، التى يكون محصلتها رأى عام مثقف.. ولا يوجد فارق دال إحصائيا بين مجموعتى العينة فى إجماعهم على هذا الرأى.

ويأتى فى المرتبة الثانية المتطلب التربوى، المتمثل فى «الاهتمام بالنشاط المدرسى كأسلوب للتربية والتعليم»، والذى لا يختلف حول أهميته شباب مجموعتى العينة؛ أى إن عينة البحث تدرك ضرورة وجود هذه الانشطة؛ خاصة وانهم عانوا أثناء رحلتهم التعليمية من الاهمال للأنشطة المدرسية؛ حيث اكتظاظ الفصول وعمل المدارس بنظام الفترات، وضيق الأفنية، وقصر الدراسة على التلقين والحفظ والاستظهار، الذى قيَّد عقول الشباب، وحرمهم المناقشة والحوار البناء لصالحهم ولصالح مجتمعاتهم.

كما ان تأكيد افراد العينة على الأنشطة المدرسية يعد تغييراً تعليمياً مرغوباً فيه؛ لكى يشعر الشباب بأهميته ويتعرف إمكاناته وقدراته، التى طمست معالمها فترة كبيرة، كان نتيجتها ما حدث لشباب مصر فى الفترة الأخيرة من خواء فكرى ودينى، أدى الى الانحراف والتطرف.

ومن ثم.. فان العودة لنظام اليوم الكامل مع احياء فكرة الانشطة المدرسية فى جميع المدارس، يعد استجابة كريمة للمطالب التربوية؛ لغرس الرأى العام المثقف بين الشباب.

ونظراً لارتباط الفكر العلمى السليم بالمواقف العلمية والانشطة المدرسية.. فقد أكد أفراد العينة على ضرورة «تعويد الطلاب على التفكير العلمى فى الامتحانات» كمطلب تربوى لتنمية الرأى العام المستنير؛ أى إن تطوير المناهج– من منظور أفراد العينة– لابد أن يستتبعه تطويرا فى أساليب التعامل مع هذه المناهج بصورة، لا تجعل من الطلاب مسايرين ومقلدين،

دون إعمال للعقل فيما يحصلون عليه من معلومات.

ويعتقد الباحث أن هذا الامر لم يغب عن بال المسئولين؛ حيث بدأ المركز القومى للامتحانات والتقويم التربوى بوضع أسس لتطوير الامتحانات، بما يتفق وتحقيق المرونة العقلية، كمدخل لإصلاح التعليم وإعداد افراد، لديهم المقدرة على المشاركة مع الجماعة فى تكوين رأى عام مثقف.

ويلاحظ من الجدول اختلاف مجموعتى العينة حول هذا المتطلب لصالح خريجى المؤهلات العليا.. وهذا يعنى إدراك هذه المجموعة لأهمية استخدام التفكير العلمى فى الامتحانات؛ نظراً لتعدد الامتحانات، التى مروا بها بالمقارنة برفاقهم من خريجى المؤهلات المتوسطة.

ويلاحظ من الجدول أن «تعويد الطلاب على الانتماء سلوكاً وليس حديثاً وشعاراً» كمتطلب تربوى لتنمية الرأى العام المثقف، احتل المرتبة الرابعة، من وجهة نظر أفراد العينة ككل، وذلك رغم تفوق خريجى الكليات والمعاهد العليا على خريجى المعاهد المتوسطة فى هذا المتطلب... وهذا يؤكد أن إثارة الحماس عن طريق الوعظ والإرشاد، أقل أثراً فى نفوس الشباب عن استخدام القدوة فى تعويد الطلاب على الانتماء، وهذا شأن المتغيرات الوسيطة كالقيم والاتجاهات، لا تتشكل إلا من خلال المواقف الحية التى يعايشها الأفراد، كما أن الولاء والانتماء للوطن يعد من العواطف، التى تتشكل من خلال المواقف، التى تمتزج فيها الجوانب العقلية مع الانفعالية، وهذا لا يتحقق من خلال الشعارات الرنانة، ولكن يتحقق من خلال مواقف القدوة والريادة.

ولما كان تعويد الطلاب على الانتماء للوطن يتطلب بيان صلة ما يتعلموه بالوطن وأهدافه؛ لذا فقد أجمع أفراد العينة على «ضرورة ربط أهداف المؤسسات التعليمية بأهداف المجتمع» كمتطلب تربوى لتنمية رأى عام مثقف؛ حيث احتل هذا المتطلب المرتبة الخامسة، وتفوق فيه خريجو الجامعات والمعاهد على ما سواهم من افراد العينة، وقد يشير ذلك إلى انخفاض درجة وعى خريجى المعاهد المتوسطة بالأهداف المطلوبة؛ لتحقيق رأى عام مثقف يحمى المجتمع من الخطر، وأن هذه الأهداف لابد أن تكون نابعة من فلسفة المجتمع وسياسته العامة.

ويأتى فى المرتبة السادسة- وبفارق دال احصائيا لصالح خريجى الجامعات والمعاهد- العليا المتطلب التربوى الخاص «بزيادة جرعات الثقافة الوطنية لحماية الشباب من الغزو القادم» من خارج الوطن.. وتأكيد خريجى الجامعات والمعاهد العليا على هذا المتطلب أكثر من غيرهم، يعبر عن وعيهم بأن تحصين الشباب من التيارات الفكرية الغازية، يقتضى بالضرورة تزويدهم بجرعات ثقافية وطنية، تؤهلهم لنقد وتقويم كل ما يعرض عليهم من فكر مخالف... والعمل على تحليله وبيان عقوبة ورفضه.

أما الاهتمام بإكساب الناشئة مفاتيح العلم.. فقد احتل المرتبة السابعة، ولا يختلف الخريجون حول هذا المتطلب التربوى؛ حيث يؤكدون على أن غرس وإكساب الناشئة مفاتيح العلم سبيل قويم لتحقيق رأى عام مثقف، لما للعلم من أثر فعال فى تقبل الرأى ومناقشة الرأى المضاد قبل رفضه أو قبوله، ويرى الباحث أن امتلاك مفاتيح العلم يعد مطلباً إنسانيا لأنه يمنح المتعلم فرص امتلاك زمام الأمور، ومن ثم يطالب أفراد العينة بضرورة تعديل بعض انظمة التعليم، بما يحقق إكساب الشباب مفاتيح العلم، بدلاً من شحن عقولهم بمعلومات كثيرة وقليلة الفائدة.

ويأتى فى المرتبة الاخيرة «زيادة الاعتماد على المؤسسات غير المدرسية فى تحقيق رأى عام مثقف» وهذا المتطلب يتفوق فيه خريجو الجامعات والمعاهد العليا على خريجى المعاهد المتوسطة. ويعتقد الباحث ان مرجع هذا الاختلاف هو أن خريجى الجامعات بحصولهم على نهاية التعليم، يعتقدون أن كمال طريقهم التعليمى لتحقيق رأى عام مثقف، يجب ان يمتد إلى التعليم غير المدرسى، وذلك بعكس خريجى المؤهلات المتوسطة، الذين يتمنون مواصلة الطريق فى مؤسسات تعليمية.

وتتفق هذه النتيجة مع عديد من الدراسات، التى أجريت فى مجال التعليم غير النظامى - كدراسة عبدالله السيد عبدالجواد عن إسهام التعليم غير النظامى فى التربية التنموية، والتى نشرت فى مجلة دراسات تربوية - والتى تؤكد أن أهمية هذا النوع لا تقل عن أهمية التعليم النظامى فى التنمية بجوانبها المتعددة، ومنها تنمية الرأى العام المثقف المستنير.

وهذا يتطلب إعادة النظر فى المؤسسات غير المدرسية والتنسيق بينها، وبين المدارس؛ لكى تقوم بدور فعال وريادى فى خدمة الفكر ومنع الانحراف، وأن تتسم هذه الموسسات

بالمرونة والتحرر من التقليدية والشجاعة والوضوح فى مناقشة الآراء، التى تهم الشباب.. مما يتيح الفرصة لكى يعايش الشباب خبرات حية، تنمى لديهم سمات الرأى العام المثقف.

دور التربية فى تكوين الرأى العام المثقف :

بداية.. يمكن القول أن قضية ايجاد رأى عام مثقف بين شباب الأمة من القضايا المهمة والخطرة، التى لا يستطيع أحد بمفرده او مؤسسة بذاتها أن تقدم العلاج الناجح؛ لان هذه القضية تحتاج الى تضافر الجهود وتكاتف الأيدى أفراداً وجماعات ومؤسسات بالعمل والفكر؛ لذلك فهى تستحق مشاركة إيجابية من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع بصفة عامة، ورجال التربية بصفة خاصة؛ لقربهم من شباب الأمة، ولاعتبارهم قدوة للأجيال؛ حيث مسئوليتهم عن بناء شخصية الإنسان المتكامل، التى تعتبر التفكير العلمى والإيجابى محوراً لقضية الرأى العام المثقف.

ومن هذا المنطلق يجب أن يكون العلاج التربوى لهذه ا لقضية مختلفاً فى فكره وأسلوبه عن علاج بعض الظواهر الاجتماعية الأخرى فى المجتمع؛ لذا يجب أن يكون اسلوب التربية معتمداً على الحوار البناء والنقد الذاتى وإعمال العقل فى كل القضايا ، التى تتعلق بمصلحة التلميذ ومستقبله؛ ليكون مؤداها إتاحة الفرصة للاعتماد على المنهج العلمى؛ حتى يصبح كيان الفرد متماسكاً بداخله، مؤدياً دوره بين المواطنين مع جماعته.

ولهذا.. يجب أن يأخذ القانون على أمر التربية على عاتقهم فى وضع الأسس والأساليب، التى يمكن من خلالها إيجاد صورة، تتمشى مع واقع المجتمع المصرى فى ضوء ظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمحلية والعالمية؛ بحيث لا يتوقف ذلك على الدور الذى تقوم به المؤسسات المدرسية فقط، بل بالتعاون بين هذه المؤسسات والمؤسسات اللامدرسية، التى لا يغفل دورها فى تحقيق رأى عام مثقف بما تقدمه من فكر وثقافة، يحتاجها جميع قطاعات شباب المجتمع؛ ليكون مظلة ثقافية، تحميه من الوقوع فى شباك الجهل والسيطرة والخضوع لانحراف الفكر.

وعلى الرغم من أن هناك محاولات تبذل لتطوير المناهج، يتضح أثرها فى وقتنا الراهن.. إلا أننا فى حاجة إلى مزيد من السرعة فى تطوير المناهج والمقررات الدراسية،

ومزيد من ربطها بقضايا المجتمع ومشكلاته، حتى تسهم التربية من خلال هذه المناهج بدور كبير فى نشر الوعى الثقافى بين شباب المجتمع، وبمساعدتهم فى الوقوف أمام كل ما يفسد المجتمع والعمل على ما تقدمه.

وحتى تحقق المناهج وطرق التدريس دوراً إيجابياً فى قضية تكوين رأى عام مثقف، بين الخريجين.. يجب أن تتسم بالمشاركة الفعلية بين واضعيها ومنفذيها؛ لتقريب الفجوة بين النظرية والتطبيق ، وحتى تكون هذه المناهج قادرة على التفاعل العقلى، واستقطاب المعلمين لصالح قضية التربية، وينتهى الصراع النفسى بين المعلم والمنهج، من خلال المصداقية التى يؤمن بها المعلم فى هذا المجتمع، ويقينه بأن هذا المجتمع قادر على تحقيق أهداف التربية وطموحاتها، حتى يتحقق الدور الرائد فى الإصلاح والعلاج؛ من أجل تحقيق سمات شباب يتمتع برأى عام مثقف. كما أن النظر فى تطوير المناهج يتطلب بالضرورة تطوير دور المعلم؛ حتى يصبح مشاركاً وأداة فعالة فى تغيير سلوك متعلمين؛ ليتمتعوا بفكر عقلى وقدرة على الحوار، وغرس روح الولاء فى نفوسهم.

obeikandl.com

التوصيات المقترحة :

١ – إعادة النظر فى الأهداف التربوية بما يحقق مرونة المناهج، التى يجب أن تكون قادرة على خلق روح التفكير العلمى، المؤدى الى الرأى العام المثقف.

٢ – إتاحة فرص متكاملة لوسائل الاعلام المسموعة والمرئية؛ للاسهام فى الحوار الفكرى، القادر على خلق جيل واعٍ متمتع برأى عام مثقف.

٣ – التنسيق بين رجال الإعلام ورجال التربية؛ لكى يوظف كل فريق مؤسسته، لخدمة قضية الرأى العام المثقف بين شباب الأمة.

٤ – عدم التعميم بين الرأى العام المثقف والرأى العام المنحرف؛ حتى لا نجد أنفسنا أمام إحجام كامل عن النقد البناء لمشكلات المجتمع.

٥ – تيسير تداول الكتب والمجلات، التى تعبر عن الرأى العام المثقف، القادر على كشف الانحراف ومحاربته.

٦ – تعديل المناهج وطرق التدريس، وإعداد المعلم بما يتمشى مع متطلبات تحقيق الرأى العام المثقف.

٧ – الاهتمام ببناء كيان الانسان فى كل المستويات التعليمية والثقافية؛ لتحقيق الذات الفردية والجماعية للإنسان المصرى.

obeikandl.com

المراجع :

2 - Charles A., Sociology : An Introduction prentice - Hall Englwood, Cliffs N.4, 1972, P. 365.

٢ – محيى الدين صابر، دور الجامعة العربية فى التوحيد التربوى الثقافى، جامعة الدول العربية الواقع، والطموح ص ٢٩٢، بيروت، مركز الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٣.

٣ – محمود عبدالرازق شفشق وآخرون، التربية المعاصرة – طبيعتها وأبعادها الأساسية، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٢٤.

٤ – محيى الدين عبدالحليم، «الإعلام الدينى واثره فى الرأى العام – دراسة ميدانية فى الريف والحضر»، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ١٩٧٨.

٥ – رجاء نور محمود، «الرأى العام فى صدر الإسلام– من بدء الدعوة الإسلامية الى نهاية عهد سيدنا عمر ابن الخطاب، رضى الله عنه»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٩٨٨.

٦ – صابر جارحى محمد، «تأثير الصحافة المصرية على الرأى العام المحلى»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٩٨٨.

٧ – مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية، القاهرة: دار المعارف، الجزء الأول، ط ٤، ١٩٧٩، ص ٧.

٨ – إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٨١، ص ١٣.

٩ – محمد عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٢، ص ١٢٤.

١٠ – سعيد سراج، الرأى العام– مقوماته وأثره فى النظم السياسية المعاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٧.

١١ – منصور فهمى، أبحاث ونظرات، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص ٢٣٨.

١٢ – إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص ١٩٣.

١٣ – محمد عبدالقادر حاتم، مرجع سابق، ص ١٢٤.

١٤ – سعيد سراج، مرجع سابق، ص ٢١.

١٥ – المرجع السابق نفسه، ص ٢٢.

obeikandl.com

١٦ – المرجع نفسه، ص ٢٣ .

١٧ – ثروت بدوى، النظم السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص ٩ .

١٨ – سعيد سراج، مرجع سابق، ص ص ١٢ : ١٤ .

١٩ – محمد أحمد ابو زيد، سيكولوجية الرأى العام ورسالة الديمقراطية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦٨، ص ٧٤ .

٢٠ – فؤاد دياب، الرأى العام وطرق قياسه، القاهرة، مطابع الدار القومية، ١٩٦٢، ص ١١ .

٢١ – محمد الرميحى، المثقفون بين الحسرة والأمل، الكويت، وزارة الإعلام، مجلة العربى، عدد ٣٤١، ١٩٨٧، ص ص ٨ : ١٠ .

٢٢ – معين القدومى، التخلف الشامل وهجرة الأدمغة العربية، ط١ . القاهرة، دار النهضة، ١٩٨٥، ص ٧٦ .

٢٣ – عبدالله عبدالدايم، «القومية العربية والنزعة الإنسانية»، الكويت، وزارة الإعلام، العربى، عدد ٣٠، ١٩٦١، ص ٣٠ .

٢٤ – اسماعيل على سيد، المجتمع والسياسة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠، ص ١٣ : ١٧ .

٢٥ – محمد كامل ليلة، النظم السياسية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧١، ص ٥ .

٢٦ – سعيد اسماعيل على، «حتى لا يسكن الخوف أبناءنا»، دراسات تربوية، القاهرة، عالم الكتب، مجلد ٨ جزء ٥٠، ١٩٩٣، ص ٤٧ .

٢٧ – عبدالوهاب كحيل، الرأى العام والسياسات الإعلامية، القاهرة، مكتبة المدينة ١٩٨٧، ص ٥٩ .

٢٨ – سمير محمد يوسف، وأحمد عبدالعزيز شلبى، «الإطار التنظيمى والمؤسسات فى الاستثمارات الاجنبية فى مصر» استراتيجية التنمية فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص ٤١٩ .

29 - Hana Batotu, Oldsocial Classes and Revolutionary Movement in Iraq, princeton, princeton University press, 1978, pp. 1014-1018.

ملحق (١)

جامعة أسيوط

كلية التربية بأسوان

قسم أصول التربية

السيد الفاضل / خريج

بعد التحية

يقوم الباحث بإجراء دراسة ميدانية عن دور التربية فى تنمية الرأى العام المثقف، ونظراً لأن موضوع الدراسة يحتاج الاستزادة برأيكم الكريم فى هذا الموضوع، الذى يمثل حلقة الوصل بين تخلف المجتمع وتقدمه، ولأننا جميعاً نرغب فى تقدم الوطن وتطوره لصالحنا ولصالح الأجيال من بعدنا، لذلك نستهدى برأيكم فى وضع المقترحات المناسبات والمتطلبات التربوية، التى نأمل أن تحقق الخير للجميع.

نرجو من سيادتكم المشاركة الإيجابية فى الإدلاء برأيكم، وعدم الحذر حتى نحقق جميعاً خير مصر.

وتقبل تحياتى

الباحث

المحور الاول : هناك سمات أساسية يجب أن يتحلى بها الأفراد، الذين يتمتعون برأى عام مثقف. فهل هذه السمات متوافرة بين خريجى الجامعات والمعاهد المتوسطة؟

م	العبـــــــــــارة	نعم	الى حد ما	لا
١	تتوافر المرونة العقلية بين خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة			
٢	يهتم الخريجون بألوان المعرفة المختلفة لتحقيق ذواتهم.			
٣	يسعى الخريجون لاكتساب مفاتيح العلم لمساعدتهم فى نمو شخصياتهم.			
٤	يعتمد الخريجون فى حل مشكلاتهم على أسلوب التفكير العلمى.			
٥	يتقبل الخريجون كل جديد فى مجالات الحياة العملية والعلمية بحذر وخوف.			
٦	يستفيد الخريجون من وسائل التكنولوجيا فى حل ما يعترضهم من مشكلات.			
٧	يتصدى الخريجون للغزو الثقافى المدمر للقيم الثابتة للوطن.			
٨	يشعر الخريجون بانتمائهم لوطنهم ويرغبون فى التضحية من أجله.			

obeikandl.com

المحور الثانى : يعتبر الرأى العام المثقف سياج أمن للمجتمع، وفى غيابه يظهر عديد من المخاطر، التى قد تدمر كيان المجتمع. فهل توافق على هذه المخاطر؟

م	العبـــــــــارة	نعم	الى حد ما	لا
١	تسيطر القلة على مصالح الجماعة فى غياب الرأى العام المثقف.			
٢	ينتشر الظلم والاستبداد بين أفراد الشعب، حينما يغيب الرأى العام المثقف.			
٣	تنتقم الطاغية من الشعب، الذى لا يحميه رأى عام مثقف.			
٤	تسيطر البضائع الأجنبية على السوق المحلى، فى غياب رأى عام مثقف			
٥	تتوقف برامج التنمية فى معظم الدول النامية، التى لا يتمتع شعبها برأى عام مثقف.			
٦	تنتشر البطالة لاعتماد الشعب على وظائف الحكومة فى غياب الرأى العام المثقف.			
٧	تكثر العادات السيئة مثل الاتكالية واللامبالاة فى غياب الرأى العام المثقف.			
٨	تتسع الفجوة بين الاغنياء والفقراء فى الدولة، التى لا يتمتع شعبها برأى عام مثقف.			

obeikandi.com

المحور الثالث : إن تحقيق الرأى العام المثقف فى حاجة ماسة إلى متطلبات تربوية . فهل توافق على هذه المتطلبات؟

م	العبـــــــــارة	نعم	الى حد ما	لا
١	ضرورة ربط أهداف المؤسسات التعليمية بأهداف المجتمع.			
٢	زيادة الاعتماد على المؤسسات اللامدرسية فى تحقيق رأى عام مثقف.			
٣	إعادة صياغة المناهج التعليمية بما يحقق المرونة الفكرية.			
٤	تعويد الطلاب التفكير العلمى فى الامتحانات.			
٥	الاهتمام بإكساب مفاتيح العلم فى عقول الناشئين.			
٦	الاهتمام بالنشاط المدرسى كأسلوب للتربية والتعليم.			
٧	زيادة الجرعات الثقافية الوطنية لحماية الشباب من الغزو القادم.			
٨	تعويد الطلاب على الانتماء سلوكاً وليس حديثاً وشعاراً			

obeikandl.com

التربية طريقا للتنوير عند رفاعه الطهطاوى

مقدمة :

تُعد التربية – منذ نشأة الإنسان – هى الهدف والوسيلة لحياة كريمة ومستقبل أفضل، وإذا كانت هناك فترات زمنية تخبو فيها شموع المعرفة، فما تلبث أن تجد من يقدح الزناد ليضىء هذه الشموع، وتملأ الدنيا شعاعاً ، وتنقذ الأمم من غفلتها وتخلفها، وتبعث فيها الأمل؛ لكى تلحق بالتطور، الذى فاتها وقت انطفاء شموع المعرفة.

والمتتبع للتاريخ المصرى يجد أن مصر فقدت استقلالها بعد الفتح العثمانى، وظلت القوى الثلاث الحاكمة (الباشا، والديوان، والمماليك) هى قوام النظام، الذى وضعه سليم الأول لحكم مصر، وللاحتفاظ بها ولاية عثمانية أطول مدة ممكنة. وظلت هذه القوى تتنافر وتتنازع، وكل واحدة منها تبذل جهدها لتحقيق غرضين اثنين، هما:

– أن تقوى هى، وأن تضعف القوتين الأخرتين.

– وأن تبتز من الشعب ما تستطيع ابتزازه من مال لتغنى.

وأما الشعب، والبلد، ونواحى الإصلاح للرقى بالشعب وبالبلد.. فقد أهملت جميعاً، حتى سطر التاريخ لهذا العهد صفحة سوداء، وعدت مصر توصف– فى هذا العهد العثمانى– بالضعف فى كل شىء، وخيم على البلاد نوع من الخمود والركود، ظل ثلاثة قرون كاملة[1].

ولقد ارتبطت الحركة العلمية بالتغيرات الحادثة؛ حيث خمدت وضعفت فى هذه الفترة، فلم يظهر فيها مفكرون جدد ولا مدارس تفكيرية جديدة، وانتهى جهد العلماء فى مصر إلى نظم قصيدة لمدح سلطان إذا انتصر، أو تأريخ حياته إذا مات، أو شرح أو تفسير أو تهميش أو تعليق أو اختصار لأمهات الكتب القديمة فى الفقه والتفسير والحديث، وغيرها من العلوم الدينية واللغوية.

ويرجع خمود الحركة العلمية وجمود الفكر فى البلاد إلى أن القوة العثمانية حالت دون اتصال أمم الدولة بالحضارات الأجنبية عموماً ، وبالحضارة الأوربية خصوصاً ؛ مما دفع

المصريين إلى الانكماش داخل بلادهم، وأصيبوا باليأس العلمى الذى انتشر بين كل الطبقات، حتى أن الأزهر – كمشعل للعلم – لم يكن فى حالة طيبة مبشرة، بل امتدت إليه موجة الركود والجمود، وهكذا تم لمصر – وهى زعيمة الشرق – كل عوامل الضعف، فقد ضعفت حربياً بتملك العثمانيين لها، وضعفت اقتصادياً بتحويل التجارة عنها، وضعفت علمياً وروحياً بسيطرة أفكار التصوف وخرافات المشعوذين على عقول أهلها(٢).

وإذا كان ذلك هو حال عاصمة البلاد.. فلا ضير أن يكون الحال أسوأ منه فى إقليم الصعيد، لبعده عن محور الثقافة ومشاعل نورها، حيث لم تكن هذه البلاد تتمتع بغير مجموعة من الكتاتيب الأهلية، التى تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة والحساب فى أبسط صورها، ولا يلتحق بها إلا القليل، الذى استطاع أهله الاستغناء عن خدماته فى الأعمال الزراعية وغيرها.

ورغم هذا الظلام الذى خيم على صعيد مصر– نتيجة لما تعانيه كل البلاد من ظلم الحاكم وقسوته– إلا أن القدر يمنح مصر رجلاً، وجد فيه صانعاً لنهضتها حينما أفاقت فى فجر القرن التاسع عشر، وهو رفاعة الطهطاوى الذى ولد فى العام الأول من ذلك القرن، فى إحدى قرى صعيد مصر، ثم صحبته الأقدار الى القاهرة وهو ابن السادسة عشرة، ليدرس فى الازهر الشريف، ويتتلمذ على يد رجل رحالة وأديب مرموق هو الشيخ حسن العطار، والذى ساعده فى السفر الى فرنسا، ليعود بعدها معلماً بالأزهر، حاملاً للواء التنوير فى مصر(٣).

وقد استطاع رفاعة الطهطاوى أن يبعث الأمل فى شعب مصر، حين تمكن من إنارة شموع المعرفة، من خلال استخدامه للتربية سلاحاً فى معركة التنوير، ضد ظلام الجهل والتخلف، واللحاق بركب الحياة الإنسانية والذى أخذ فى التصارع؛ لكى يحقق للإنسان ما فاته فى عصر تحكمه الأقلية، التى سيطرت على الجميع؛ لكى تتمتع بكل شىء من خلال جهل الإنسان بما حوله وبما هو قادم عليه.

وقد حدد رفاعة الطهطاوى هدفه وأدرك وسيلته الى تحقق له هذا الهدف، ولم يتردد فى الاعتماد عليها؛ ليصيب الهدف ويحقق الأمل، واضعاً نصب عينيه أن السعادة الحقيقية للإنسان فى تعليمه وإنارة عقله، واستطاع –بذلك– أن يقدم أعظم وأجل ما يقدم لأبناء أمته، وأصبح من زعماء النهضة الثقافية فى مصر وروادها.

ومما يعطى فكر الطهطاوى بعداً جديداً من الأهمية، أنه لم يقف عند المستوى الشرقى من الثقافة، بل دخل فى مجال البحث عن المعرفة عند الغرب؛ ليعوض لأبناء الشرق فترة كمونهم عن الحياة، ولذلك كان شديد الحرص على تعلم لغة الغرب ومعرفة أسرارهم، ولقد أدرك أن اللغة لن تكتسب إلا بالتعليم، وأن التعليم وحده هو الهدف والوسيلة لبعث حركة الحياة من جديد فى مصر.

وقد صاحب إيمانه بالتربية كسلاح فى معركة التنوير، إيمانه العميق بحق المصريين فى التعليم، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع؛ لكى تتم ثورة النور والتنوير، وقد استمر إيمانه الشديد بذلك فى كل مراحل حياته التى عاشها حراً طليقاً، أو التى نفى فيها بعيداً عن أهله ووطنه؛ ليذهب إلى السودان.

مشكلة البحث وتحديدها :

فى ضوء ما سبق.. يتضح أن مصر قد تجاذبتها أطماع الدول الأوربية، وتصارعت مع «الباب العالى» وحكامه وولاته، وأنهم كثيراً ما هبوا مطالبين بحقوقهم، وتوسطوا عند «الباب العالى» لتوليه من وقع عليه اختيارهم، وهو محمد على، وهذا الأخير بدأ بداية طيبة للتطوير، معتمداً على التعليم، إيماناً منه بدور التربية فى بناء الأمم وحضارتها ومجدها، ووفر جواً ومناخاً للاستفادة من أصحاب الفكر، إلا أنه لم يستمر فى الطريق حتى نهايته، وترك الأمور لأبناء، أفسدوا ما أصلحه، مما زاد من شدة المطالبة بالحقوق.

وفى هذا الجو من المشاعر الملتهبة والرغبة الحارة فى التخلص من ظلام الجهل، قام رجالات الفكر على رأسهم رفاعة الطهطاوى، يبعثون روح اليقظة والنهوض، ويضيئون الشموع فى ظلمات الجهل الحالك.. وفى هذا الإطار يأتى البحث الحالى؛ ليعرض ما ينطوى عليه فكر رفاعة الطهطاوى، ودوره فى وضع أسس الثقافة المصرية الحديثة كأساس للتنوير.

أى إن مشكلة البحث تتحدد فى محاولة الاقتراب من فهم مجال التنوير بدراسة محاوره فى فكر رفاعة الطهطاوى، ثم السعى لربط هذه المحاور بكيفية استخدام التربية، كوسيلة أو سلاح للتنوير فى عهد، اتسم فى فترات كبيرة منه بالظلمة الحالكة.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى :

- إلقاء الضوء على أثر ظروف النشأة الأولى لرفاعة الطهطاوى، فى تكوين فكره التربوى.
- تعرف إنجازات رفاعة الطهطاوى التربوية الواضحة فى مجال التربية والتعليم فى مصر.
- توضيح العلاقة بين التربية والتنوير، كما وردت فى حركة حياته العلمية والاجتماعية.

أسئلة البحث :

ولتحقيق الأهداف السابقة، يحاول البحث الحالى الإجابة عن التساؤل الرئيسى التالى:

* كيف استخدام رفاعة الطهطاوى التربية سلاحاً فى معركة التنوير؟

وعند الإجابة عن هذا التساؤل ينبغى التعرض للنقاط التالية:

- نشأة الطهطاوى وعلاقته بفكرة التنوير.
- علاقة تعليم الطهطاوى خارج مصر بحركة التنوير.
- محاور التنوير فى فكر رفاعة الطهطاوى.
- استخدام التربية كسلاح للثقافة والتنوير.

منهج البحث :

يستخدم البحث المنهج الوصفى المعتمد على تحليل ما كتب عن رفاعة الطهطاوى، وذلك بتحليل الوثائق التى خلفها الطهطاوى، ومحتوى ما كتب عنه؛ خاصة ما يربط منها بمجال التربية والتنوير، ولما كان هذا التحليل يهتم بشرح الوضع الخاص بالتنوير وتفسيره فى الوقت الذى عاش فيه رفاعة وتطور فكره عبر الفترات، التى عاشها أو ما بعدها، ولما كان البحث يطلب تفسير أحداث اجتماعية، حدثت فى عهده وتطبيقاتها التربوية.. فقد يتطلب الأمر

الاستعانة بالمنهج التاريخى؛ لتفسير العلاقات بين الأحداث، والاستفادة منها فى فهم الحاضر، على ضوء أحداث الماضى.

فى ضوء هذا المنهج تم معالجة الموضوع على النحو التالى:

أولاً : الخصائص التربوية للعمر الذى عاشه رفاعه الطهطاوى :

(أ) سمات العصر:

عاش رفاعة الطهطاوى – بداية عصره– فى عهد انحط العلم فيه بين المسلمين بقدر انحطاطهم السياسى، فصار علمهم قديماً بالياً ، لا جدوى فيه ولا يناسب العصر الحديث، بعد أن مضى على ذلك العلم أكثر من قرنين وهو جامد غير متطور، ومن سمات هذا الجمود القول المشهور الذى كان يؤمن به أهل الأزهر وهو «لا علم إلا لأزهرى»، وظل الكثير منهم يؤمن بهذا القول، ويرى أن العلم هو علم الأزهر، وأن أوروبا تمتاز عنهم بالصناعة فقط(٤).

ومع ذلك.. فإن علماء الأزهر كانوا قد وصلوا فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر إلى حالة، بلغ اليأس فيها من إصلاحهم غايته؛ لأنهم كانوا مع هذه النعرة العلمية فى حالة عجز تام عن القيام بأى عمل نافع، ولو كان فى مصلحة دينهم، فقد كانت الأحكام الشرعية على حالة من الجمود، وقد يكون العمل بغيرها أنسب منها لهذا العصر، وقد قفل باب الاجتهاد فى الفقه، حتى أن العلماء لم يستطيعوا أن يصدروا أحكاماً جديدة تنهض بكثير من التشريعات(٥).

ومع إشراقة القرن التاسع عشر.. ضاق الغرب بعزلة بلدان الشرق الأدنى عامة ومصر بوجه خاص، وآثر أن يقوم بفتح الأبواب والنوافذ، التى تسمح لأضواء حضارية بالدخول والانتشار بالقوة أو السلاح، كما دفعته عوامل الاستعمار والاستغلال إلى احتلال البلاد فى صورة الحملة الفرنسية، والتى تبعتها الحملة الإنجليزية؛ لكى تفوز بالسيطرة على مصر وشعبها وشئونها(٦).

وأدرك الحكام الذين تولوا عرش مصر أنه لابد من رسم سياسة إصلاحية جديدة؛ لانتشال الكنانة من هذا الخراب والفساد، الذى تردد فيه طوال العصر العثمانى، ورأوا أن السبيل القويم للإصلاح هو الاتجاه نحو الغرب والاقتباس من نظمه والنقل من علومه.

وفى هذه الأونة التى بدأت فيها الحضارة الأوربية تتطلع إلى غزو الحضارات القديمة الجامدة فى الشرق، ولد رفاعة الطهطاوى

(أ) مولد رفاعة الطهطاوى وثقافته التى نشأ فيها:

ولد رفاعة فى طهطا سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) فى أسرة ميسورة الحال؛ حيث كان والده يملك بعض الثروة التى تسمح له بالعيش الكريم، إلا أن «محمد على» نزع أموال «بدوى رافع» والد رفاعة الطهطاوى كغيره من المصريين؛ بحجة أنها من أملاك المسلمين، التى يجب أن يديرها الوالى لينفق ريعها على المحتاجين[٧]؛ مما اضطر أسرته إلى الرحيل عن مدينته والالتجاء إلى أقارب له يقال لهم بيت «أبى قطنه» بجرجا، وكانوا من ذوى اليسار والمجد، ولهم شهرة بصعيد مصر، وهناك حفظ الكثير من القرآن الكريم، وظل كذلك حتى توفى والده؛ فعاد إلى مسقط رأسه حيث تولى أخواله، تربيته فأتم حفظ القرآن الكريم، كما أخذ يتلقى مبادىء العلوم، فقرأ بعض الكتب فى الفقه والنحو، فأهَّله ذلك للقدوم إلى القاهرة ليتلقى العلوم بالأزهر[٨].

وقد تهيأت لرفاعة الطهطاوى- منذ طفولته- ثقافة أزهرية، حتى قبل أن يدخل الأزهر؛ إذ قرأ بعض الشئون الأزهرية عن أخواله، ومنهم بعض علماء الأزهر كالشيخ عبدالصمد الأنصارى والشيخ أبو الحسن الأنصارى والشيخ فراج الأنصارى[٩]، ثم جاء رفاعة إلى القاهرة، ولم يبق بها طويلاً حتى مضى يطلب العلم فى الأزهر، ولم يسر فى دروسه على منهج منتظم، بل حضر دروساً متنوعة، وكان ذا عزيمة قوية وصبر على المطالعة والدروس وحب للعلم والتحصيل ودراسة العديد من الكتب التى أخذها عن أعلام شيوخ عصره[١٠].

وكان من أعظم أساتذته فى توجيه حياته حسن العطار، فقد اتصل به رفاعة يوم أن دخل الأزهر[١١]. وقد كان من حظ رفاعة أن تتلمذ على يد هذا الشيخ، وهو من العلماء المستنيرين، الذين اتصلوا بعلماء الحملة الفرنسية، وأعجب بتقدم الشعب الفرنسى وحضارته. وقد قرأ الشيخ العطار كثيراً من كتب التاريخ والجغرافيا والطب والرياضة والفلك والأدب، وأفاد تلاميذه من هذه العلوم، وقد كان رفاعة من تلاميذ الذين قربهم إليه[١٢]، لما لمسه فيه من نبوغ، وكان الطهطاوى يتردد على منزله؛ لينهل من علمه، ويشترك معه فى الاطلاع على الكتب العربية، التى تناولها أيدى علماء الأزهر[١٣].

قضى رفاعة الطهطاوى ثمانى سنوات، وكان فيها مرجع أخوته، يحل لهم ما غمض عليهم، وكان أساتذته يثقون بفهمه فسطع نجمه فى الأزهر، وعلا قدره.. ولم يؤثر فقره على دراسته؛ إذ كانت والدته تساعده ببيع ما تبقى لها من الحلى والعقار، وكان هو يستعين على الحياة بإعطاء درس كل يوم لحسين بك نجل المرحوم لاظوغلى، وإلقاء بعض الدروس فى المدرسة، التى أنشأها بمنزل محمد لاظوغلى(١٤).

وقد كان رفاعة منذ عهده الأول مدرساً ممتازاً ، فأحيل عليه الطلاب وفادوا منه، وكانت حلقات دروسه فى العامين التاليين لتخرجه حافلة دائماً بالمستمعين من التلاميذ والمشايخ(١٥)، وفى أثناء العطلة الصيفية يذهب رفاعة الى بلده، وكان يجلس فى مسجد جده «أبى القاسم»، ويلقى على الناس ما تعلمه من علوم الدين.. وكان رفاعة مع حداثة عهده بالتعليم- فصيح اللسان، حلو الكلام، وبهذا استطاع أن يلقى دروسه على السامعين، بلغة فهموها بسهولة كبيرة، وكان كاد ينتهى من درسه الأول؛ حتى صاح خاله معجباً به ومفتخراً بمقدرته – الله أنت يابن الأخت.. إنك فقت كبار العلماء فى سهولة الشرح وتقريب العلوم البعيدة، وهكذا ... كان يقضى الشاب رفاعة الطهطاوى أيام العطلة الدراسية، يجلس فى مسجد جده عصر كل يوم؛ ليلقى درساً فى العلوم المختلفة التى تعلمها فى الأزهر.

وكان هذا فى سنته الأولى بالأزهر.. وكان تارة يجعل موضوع درسه حديثاً من أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – يلقيه على السامعين بصوت عذب ونغمات حلوة، ثم يشرحه شرحاً واضحاً ، وتارة أخرى يختار آية من القرآن الكريم، أو عدة آيات، ويقرؤها بترتيل وتجويد دون أن يتغنى بها، ثم يأخذ فى شرحها وبيان فضل الله فيها على الناس، وكان أحياناً يجد بعض السامعين يحبون الأدب والشعر، فيلقى عليهم مما حفظه من الشعر والنثر والخطب قطعاً جميلة ساحرة(١٦).

وقد عاصر الطهطاوى أهم أحداث مصر الجسام، وأسهم فيها، وتعامل معها، وأثر فيها وتأثر بها، وقد أضفى عليه مؤرخوه لقب زعيم النهضة الثقافية فى مصر، فى القرن التاسع عشر.

ويبدو أن ضيق العيش دفعه إلى التحرك عن التعليم فى الأزهر، فعين واعظاً وإماماً لإحدى فرق الجيش المصرى النظامى، الذى أسسه محمد على(١٧)، وانتقاله إلى الجيش أحدث تطوراً فى حياته وفى سيرته وذهنيته؛ لأنه بدأ يتصل بالحياة العسكرية.. وظل الشيخ رفاعة

فى منصب الإمامة من أول سنة ١٢٤٠ هـ، حتى شعبان من السنة الثانية، حين فتح له طريق المجد، وهيئت له أسباب النبوغ، ومهدت أمامه السبل لخدمة بلاده من أجل الخدمات، وبهذا أتيحت له الفرصة لاستخدام فكره الذى تبلور خلال نشأته الأولى.

(جـ) دور الثقافة الأجنبية فى تطوير اتجاهات رفاعة الطهطاوى التربوية:

لما أراد محمد على باشا أن يرسل بعثة كبرى إلى فرنسا لتدرس العلوم الحديثة، اختار لهم من علماء الأزهر من يذكرهم بالدين ويعظهم ويرشدهم، ووقع الاختيار على رفاعة الطهطاوى كإماماً للبعثة؛ أى إنه لم يكن مطالباً بدراسة علوم الفرنسية ونظمهم، بل كان يكفيه أن يقوم بالإمامة لأعضاء البعثة ويعظهم ويرشدهم، ولكنه قد رأى أمامه الباب مفتوحاً على مصراعيه، حيث انخرط فى دراسة ما تدرسه أعضاء البعثة، ولم يترك الفرصة تفلت من يده ولم يلبث أن جد كما جدوا فأكسبه اجتهاده مكانة فى البعثة، وأثنى عليه المشرف لذكائه ومثابره، فتعهده بالإرشاد وسداد خطاه، حتى نهل من الثقافة الأجنبية بأوفى منصب[١٨].

ولقد درس رفاعة الطهطاوى الترجمة وأمضى فيها خمس سنوات كاملة، ترجم خلالها كثيراً من الكتب والقطع والمقالات، وبعد اجتيازه لامتحان الترجمة عاد إلى أرض وطنه، متأثرا بفكر الغرب وتقاليده واتجاهاه، على الرغم من أن اختلاطه بأقوام مختلفين وعادات غير مألوفة لديه لم يؤثر أدنى تأثير على عقائده، ولم يغير من أخلاقه الإسلامية وعاداته الشرقية[١٩].

ويؤكد ذلك «على مبارك» بقوله: إن إقامة رفاعة الطهطاوى بباريس لم تؤثر أدنى تأثيراً فى عقائده أو فى أخلاقه وعاداته[٢٠].

ولما كان الشيخ العطار أوصى تلميذه رفاعة الطهطاوى بتدوين مشاهداته فى رحلته نظراً لاهتمام العطار بسماع عجائب الأخبار وغرائب الآثار، لذا فقد اهتم رفاعة بدراسة المجتمع الفرنسى وعاداته، ومقارنة ذلك بما يحدث فى المجتمع المصرى، واستفاد من ذلك أن أصبح همزة الوصل المنشودة بين ثقافة الغرب وعقلية الشرق»[٢١].

وقد واصل رفاعة الطهطاوى دراسة اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا، وألم بالحساب والهندسة، وشحذ فكره بمطالبات قيمة فى المنطق وتاريخ الفلسفة والأدب الفرنسى، ولاسيما أدب القرن الثامن عشر، الذى يؤمن بارتقاء البشرية، وهدى المعارف، وتحكيم العقل فى

تنظيم المجتمع. كما شغف بمقالات الصحف والمجالات، وتخصص فى الترجمة، وأفاد من أحاديث المستشرقين ومن اتصاله الدائم بأساتذته الفرنسيين، وأدت مطالعاته ومشاهداته إلى تطور عقلى سليم أفضى به من السذاجة، إلى نضج الرأى، ثم إلى النقد الساخر(٢٢).

وبعد أن أمضى رفاعة الطهطاوى فى باريس خمس سنوات عامرة، بالاطلاع والتفكير والتحصيل بين الأساتذة والمستشرقين، وأهل العاصمة الفرنسية وأئمة الحضارة الحديثة، عاد إلى وطنه عام ١٨٣١ م زاخر النفس بمعانى حياة جديدة ، متحفزاً لعمل خطير، هو إصلاح المجتمع المصرى بتعليم الشعب وتنوير العقول.

(د) أثر تجارب رفاعة الطهطاوى ومشاهداته وانطباعاته:

لقد تأثر رفاعة الطهطاوى كثيراً بما درسه وشاهده فى فرنسا، وأراد أن يعود كل ذلك بالنفع على بلده، فقام بعد عودته بالتأكيد على إنشاء المدارس وتعليم أبناء مصر، كما راح يستعرض كتب الثقافة الغربية ويترجم، ويصنع من تلاميذه مترجمين، يتولون معه – وتحت إشرافه من بعده، نقل ذلك الكنز المفتوح، ومضى يكتب ويخطب وينشر المجلات والصحف، ويبسط العلوم ويعالج التربية والاقتصاد والسياسة ويهدم الآراء الفاسدة، ويبث أفكار التقدم، ويبصر أمته بروعة ماضيها وخصب حاضرها ورجاء مستقبلها(٢٣).

وقد استمر رفاعة الطهطاوى فى ذلك لا يكل ولا يمل، على الرغم من قيود محمد على باشا، حتى أدى رسالته التى آمن بها.

ولقد قام رفاعة الطهطاوى بمهمة الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب بأبى زعبل، ثم انتقل سنة ١٨٣٣م إلى مدرسة المدفعية بطرة، واستمر يترجم لطلاب هذه المدرسة فى العلوم الهندسية والعسكرية والجغرافية، وعندما ظهر مرض الطاعون فى مصر عام ١٨٣٤ م، سافر رفاعة الطهطاوى إلى طهطا، وفى فترة ستة أشهر أكمل ترجمة الجزء الأول من «جغرافية ملطبورن» الذى كان قد بدأ ترجمته فى باريس(٢٤).

واستطاع رفاعة الطهطاوى أن يقنع الوالى «محمد على» بأن عمله وحده فى الترجمة لا يكفى ولا يسد حاجة البلاد إلى معرفة علوم فرنسا وعلوم الغرب، واقترح عليه أن ينشىء مدرسة يتعلم الطلبة فيها الترجمة بعد ما يدرسون اللغة العربية واللغة الفرنسية، ويتعمقون فى

دراستها؛ لأن الترجمة السليمة تحتاج دائماً أن يكون المترجم قوياً فى اللغة التى يترجم منها، واللغة التى يترجم إليها.

وعندما وافق الوالى على إنشاء هذه المدرسة، وأصدر أمره بهذا، كلف رفاعة الطهطاوى بأن يختار بنفسه تلاميذها من أبناء البلاد الذين يتعلمون فى الكتاتيب، وقد اختار الشيخ رفاعة خمسين تلميذاً وعاد بهم إلى القاهرة، وهو فى أسعد أيام حياته، ومن ذلك اليوم أنشئت مدرسة الألسن سنة ١٨٣٧ م، وصار رفاعة ناظراً لها ومدرساً فيها، وكان تلاميذها جميعاً يتعلمون فيها بالمجان، ويقيمون فيها، ويصرف لهم ثمن الملابس، وكان مقر مدرسة الترجمة السراى المعروفة ببيت «الدفترو» بحى الأزبكية، وقد تولى رفاعة نظارة المدرسة إلى جانب تدريسه بها، وكانت أهم واجباته:

(١) أن يشرف على المدرسة من الناحية الفنية والإدارية.

(٢) أن يدرس للتلاميذ الأدب والشرائع الإسلامية والغربية.

(٣) أن يختار الكتب التى يرى ضرورة ترجمتها ويوزعها على المترجمين من تلاميذ المدرسة وخريجيها الملتحقين بقلم الترجمة، ويشرف على توجيههم فى قيامهم بعملهم، ثم يراجع الكتب وينقحها بعد ترجمتها. بالإضافة إلى ذلك كان رفاعة يرأس كل عام لجنة الامتحان التى تعقد لتلاميذ مكاتب المبتديان والأقاليم ويسافر إليها ويشترك فى امتحان التلاميذ ويلحق المتفوقين بالمدرسة التجهيزية، التى ألحقت بمدرسة الألسن. وإلى جانب اشتراك رفاعة فى ترجمة عديد من الكتب، قام بمراجعة كتب كثيرة لمترجميها من أعضاء البعثات، الذين يعملون بالمدارس الخصوصية[٢٥].

وفى سنة ١٨٤٠ عهد إلى رفاعة الطهطاوى تنظيم «الوقائع المصرية» ، والإشراف على تحريرها، فقام بالإشراف على تبويب الصحيفة وأعمال الترجمة بها ، وعنى باللغة العربية التى أصبحت تتصدر الجريدة فى الناحية اليمنى، فى حين كانت اللغة التركية تحتل الناحية اليسرى.. وكان لهذا العمل وقع تاريخى فى التنوير، لما أتاحه من فرص لقارىء العربية من معرفة الوقائع والأحداث[٢٦].

وبعد أن تولى عباس الأول الحكم، قام بتصفية تلاميذ مدرسة الألسن، وأمر بنقلها فى أكتوبر سنة ١٨٤٨ م إلى مكان مدرسة المبتديان (الناصرية)، ثم ألغيت المدرسة فى نوفمبر سنة ١٨٤٩، وضم تلاميذها إلى المدرسة التجهيزية كخطوة لغلق النوافذ المصرية على الخارج إلى السودان، كما أرسل الطهطاوى إلى السودان بحجة توليه نظارة المدرسة الابتدائية، التى أمر عباس بإنشائها فى الخرطوم، ويقال بأن لكتاب رفاعة الطهطاوى «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» علاقة بنفسه، نظراً لما تضمنه هذا الكتاب – طبقاً لرأى عبدالرحمن الرافعى – من «آراء ومبادىء لا يرغب فيها الحاكم المستبد»، وقد قضى الطهطاوى فى السودان أربعة أعوام، كانت قاسية على نفسه لاغترابه عن أسرته وأهله. وقد عاد الطهطاوى هو ورفاقه من السودان بعد تولى سعيد حكم مصر فى يوليو سنة ١٨٥٤ م[٢٧] ويبدو من الأشعار التى نظمها الطهطاوى أنه كان متألماً لنفيه، ويصور الأمر على أنه وشاية فيقول:

ومـــا خلت العـــزيز يريد ذلى	ولا يصـــفى لاخـــصـــام لداد
لديه ســـعـــوا بألسنة حـــداد	فكيف صـــغى لألسنة حـــداد
رحلت بصـفـقـة المقـبـون عنهـا	وفـــضلى فى ســـواها فى المزاد
ومـــا الســـودان قط مـــقـــام مـــثلى	ولا سلمـــاى فـــيـــهـــا ولا ســـعـــادى

وعلى الرغم من أن «سعيد» لم يكلف الطهطاوى – بعد عودته من السودان – بأى عمل إلا أن «أدهم باشا» المفتش العام للمدارس، وصديق الطهطاوى، دعاه إلى دراسة مجال التعليم الابتدائى، فكتبا معاً تقريراً طويلاً مفصلاً بوجوب نشر هذا التعليم فى المدن والقرى؛ لأنه الأساس الذى يقوم عليه كل تعليم، ورفعا هذا التقرير إلى الوالى، ولكن الوالى لم ينظر إليه أو يفكر فى تنفيذ ما جاء فيه من الإصلاح للبلاد[٢٨].

وبعد مدة قصيرة.. كان ناظر المدرسة الحربية «سليمان الفرنساوى» قد أحس بأنه فى حاجة إلى من يساعده فى إدارة المدرسة، فطلب من الوالى أن يعين رفاعة وكيلاً له، فوافق الوالى على تعيين رفاعة وكيلاً للمدرسة الحربية، وذهب رفاعة إلى المدرسة، وهو ينوى أن يحدث تغييراً كبيراً فى مناهجها ونظام دراستها، واستطاع أن يقنع «سليمان الفرنساوى» بأن الضباط فى الجيوش يجب أن يتعلموا كثيراً من اللغات، ويجب أن يتعلموا العلوم الهندسية

ودروس الأدب التى تملأ نفوسهم حماسة وشجاعة عند القتال، ونجحت فكرة رفاعة واقتنع بها الناظر، وترتب على ذلك إحياء فكرة مدرسة الألسن القديمة فى صورة جديدة، وترجم هو ومساعدوه – فى هذه الفترة – عدداً من الكتب فى العلوم النافعة.

ولم يطل الوقت فطلب «سليمان الفرنساوى» أن يترك الخدمة لكبر سنه؛ فأصبح رفاعة ناظراً لهذه المدرسة، وبعد فترة نظراً للارتباك المالى الذى وقع فيه سعيد، مما جعله يلغى هذه المدرسة، ويطفىء النور الذى كان يشع منها لأنحاء البلاد، وبهذا أصبح الطهطاوى بدون عمل حتى جاء حكم إسماعيل الذى استعان برفاعة وجعله رئيساً لقلم الترجمة وكلفه بالإشراف على الكتاتيب، بهذا فقد نجح رفاعة فى نشر التعليم الابتدائى بين طبقات الشعب كما كان يتمنى.

ولم يكتف رفاعة الطهطاوى بالحث على نشر التعليم الابتدائى، بل إنه نادى – فى مشروعاته لتنوير العباد – بتعليم البنت وإنشاء مدارس خاصة بها؛ لاعتقاده بأن تربية الولدان تأتى ثمارها من خلال تربية الأمهات، ولم يترك هذا فى صورة توصية، بل أنه سعى جاهداً لتحقيق ذلك من خلال ما كتبه عن خير الطرق لتعليم البنين والبنات، ومن ثم فقد أثمرت دعوته عن استجابة الحكومة بإنشاء المدرسة السينية.. أضف إلى ذلك اهتمامه بإعداد المعلم، عن طريق مجموعة من المحاضرات فى مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ وطرق التعليم، والتى كان يتلقاها أبناء الأزهر فى قاعة دار العلوم، التى تعد نواة لمعاهد إعداد المعلم فى مصر(٢٩).

ولقد شكلت هذه المؤثرات فكر الطهطاوى العام والتربوى، والذى يبدو بوضوح فى موقفه من التربية، وأهمية الدور الذى تقوم به مؤسساتها وتنظيماتها الاجتماعية، وأيضاً فى الجوانب النفسية والخلقية للمتعلمين، هذا بالإضافة إلى رأيه فى صلة المعلم بالتلميذ وطرائق التدريس والتعليم بالأزهر وتعليم البنت، وغيرها من الجوانب التربوية.

ثانياً : الاهتمامات التربوية عند رفاعة الطهطاوى:

لقد تعددت اهتمامات رفاعة الطهطاوى التربوية، كما كانت له آراء متنوعة وكثيرة فى التربية، ورد ذكرها فى كتاباته ومؤلفاته، وهى : «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز»،

و «المرشد الأمين للبنات والبنين» و «مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية»، والتى أسفر تحليل الباحثين لها عن الآتى:

(١) معنى التربية وأهميها عند رفاعة الطهطاوى:

اهتم الطهطاوى بقضية التربية والتعليم – باعتبارها قضية قومية– اهتماماً علمياً ونظرياً؛ حيث تأثر فى الجانب النظرى بدراسته فى الأزهر على الطريقة القليدية المتعارف عليها، وتأثر فى الجانب العملى بدراسته فى فرنسا، أثناء البعثة للنظريات والطرائق والمناهج الجديدة، التى غلب عليها الجانب الجريبى.

ولقد كان من نتاج التزاوج بين الفكر النظرى الشرقى، والتجريبى الغربى نظرة جديدة للتربية ومفهومها، حيث نظر إليها على أنها فن تنمية الأعضاء الحسية والعقلية للكائن البشرى، وطريقة لتهذيبه على أصول علمية، يستفيد بها الصبى ويتخذها عادة.. ومن ثم فإن التربية عند الطهطاوى تتسم بالشمولية والتكامل، كما جعل موضوعها الطفل من ساعة أن يولد إلى أن يتم نضجه، كما جعلها تشمل الجوانب الحسية والعقلية للطفل، وزاد على ذلك فى أن جعل التربية عملية تؤدى إلى تغير فى قدرات الفرد إلى الأحسن والأصلح(٣٠).

وتُعد التربية – فى رأى رفاعة – ضرورة للإنسان، لا يستطيع أن يستغنى عنها، فالإنسان تميز عن سائر المخلوقات بالعقل، وهو وسيلة تؤهل الإنسان لحماية نفسه على عكس الحيوانات التى تمكنها قوتها الجسدية من أن تحمى نفسها، لذا فهو يمتلك القدرة على التعليم واكتساب المهارات، وبذلك فقد أكد الطهطاوى أهمية العقل بالنسبة للإنسان، وأن من واجبه أن يفيد من قدره العقلية للتعلم واكتساب الخبرات؛ حتى يتغلب على صعوبة الحياة ويسود الكون(٣١).

ويرى الطهطاوى – أيضاً – أن الإنسان تميز عن سائر الكائنات بالقدرة اللغوية الفكرية، التى مكنته من أن يكون تنظيماً اجتماعياً يدعم الحضارة الإنسانية، ويعمل على استمرارية المجتمعات البشرية، ويكسب الأفراد المعارف والخبرات، وبهذا تعد التربية طريقاً للتقدم؛ حيث تؤدى تربية الأفراد على نحو اجتماعى سليم إلى رقى شأن الأمة، يستوى فى ذلك الذكور والإناث، فالأمة التى ترتقى برجالها ونسائها تمضى فى طريق التقدم على أساس سليم(٣٢).

(٢) التلميذ واستعداداته وميوله:

يؤكد رفاعة الطهطاوى على الجوانب النفسية للتلميذ وطرق مراعاتها، ويوصى المربين وأولياء الأمور بتأمل أحوال الصبيان، وكشف استعداداتهم؛ تمهيداً لتوجيههم التوجيه السليم.

فالتربية الصحيحة من منظور الطهطاوى، هى التى تناسب استعدادات الطفل، وتراعى فيها ميوله وقدراته، وفى الحالة التى تتشابه فيها هذه الميول والاستعدادات.. فإن اشغلال هذه الاستعدادات يقوى بالتنافس، الذى يعد صفة إنسانية، تبعث على الجهد والاجتهاد، ويؤكد الطهطاوى ذلك بقوله: ربما ظهر ببادىء الرأى أن – التنافس رقيق الطمع وشقيق الحسد، وأن التمسك به غير سالك فى السبيل الأمثل، مع أنه ليس فيه شىء من هاتين المثابتين، بل بينه وبينهما بون بعيد فى الأثر والعين؛ إذ ليس الغرض من التنافس حصر الفعل فى صاحبه والاختصاص بمكاسبه ومواهبه، بل مجرد التقدم فى المعارف، والدخول مع الأقران فى ميدان السباق؛ ليبادر كل منهم بالسعى واللحاق[٣٣].

(٣) فى أخلاق المتعلمين:

لا يقصر اهتمام الطهطاوى بتربية الأفراد على تنمية الاستعدادات وتنشئة الفرد تنشئة عقلية، بل اهتم كذلك بالجانب الخلقى؛ اعتقاداً منه بأن التربية السليمة هى التى تُعد الفرد للعيش فى مجتمع له معاييره الأخلاقية، ومن ثم فقد نبذ فى كتاباته الأخلاق غير الحميدة، ودعا المربين إلى مساعدة الأطفال على التخلص منها، ومن ثم فهو يرى بأن يعلم الطفل –ذكراً أو أنثى– من بواكير الطفولة العقائد الدينية الدالة على وجود الله ووحدانيته، ويرى أن تسير التربية الدينية جنباً إلى جنب مع تربية الطفل المعايشة،[٣٤].

وينتهج الطهطاوى نهجاً تربوياً خاصاً فى التربية الخلقية؛ حيث نادى بعدم توبيخ الطفل، إذا خالف أصول الأدب فى بعض الأوقات، بل يكاشف بأنه أقدم على هذا السلوك فى أول مرة، وفى المرة الثانية يوبخ الطفل سراً لأنه إذا تعود التوبيخ والمكاشفة، أدى ذلك إلى أن يكون وقحاً ، ويهون عليه سماع الملامة فى ارتكاب الفضائح.

(٤) فى صلة المعلم بالتلميذ:

أشار الطهطاوى إلى العلاقة، التى يجب أن تجمع بين المعلم والتلميذ، وأكد ضرورة بنائها على الحب والإخلاص، وأشار فى هذا الصدد إلى ضرورة تبنى المتعلم طريقة فى قراءة النص؛ مؤداها الدعاء لأساتذته والسابقين عليه وأصحاب الفضل فى تعليمه، كلما شرع فى قراءة نص أو انتهى منه.

وفيما يتعلق بالجانب الذى يخص الأستاذ.. فإن الطهطاوى يرى لزاماً على الأستاذ أن يكون رفيقاً بتلميذه، عطوفاً عليه، وأن يدعو له بالتوفيق فى دراسه، صبوراً على ما قد يبدر منهم من سلوك شائن، ويخص معلمى القرآن بحديثه، حيث يستنكر عليهم ضرب تلاميذهم الصغار، ويعد ذلك خروجاً على حد الشرع، وينصح المعلمين بترغيب الأطفال على التعلم ومسايرهم باللطف والرفق، وأن يأذنوا لهم باللعب فى بعض الأوقات، ويكون لعباً جميلاً غير متعب لهم؛ ليستريحوا من عناء الدرس، وإذا كان هذا موقف المعلم من المتعلمين.. فإن رفاعة الطهطاوى يطلب من المتعلمين التأدب مع الله ومع المربين، والتواضع والاعتقاد فيهم، ويرى أن يطيع المتعلمون المعلمين ويسمعوا أقوالهم وينتصحوا بنصائحهم[٣٥].

(٥) فى طريقة التدريس:

يرى رفاعة الطهطاوى أن تدريس التلاميذ يجب أن يتم وفق خطوات معينة، هى:

(أ) أن يبدأ بالأهم، ويرى أن يأخذ العلوم عن أساتذتها، ويحذره من الاستعانة بالكتب إلا فى القرآن الكريم وعلم الحديث.

(ب) ألا يخرج الطالب من علم إلى غيره حتى يحكمه.

(جـ) المطارحة والمناظرة فائدتهما اقوى من فائدة التكرار.

(د) يقسم المدرس الدرس أقساماً حتى يسهل حفظه، فهذا فى رأيه أدعى إلى الرسوخ فى الذهن من حفظه جملة.

ويذكر الطهطاوى أنه بعد الجولات التفتيشية، التى قام بها، وجد عدم صلاحية بعض الكتب التى بأيدى التلاميذ، فألف كتباً جديدة يراها بعض الباحثين أنها الخطوة الأولى فى سبيل النهضة للكتب المدرسية فى تاريخنا التعليمى، وكان رفاعة يسترشد بما رأى وبما درس من كتب فرنسية، أثناء تلقيه العلم فى فرنسا(٣٦).

(٦) فى تطوير الأزهر:

بدأ رفاعة الطهطاوى تطويره للأزهر بالمعهد الذى تخرج فيه، فدعا إلى إدخال العلوم العصرية بالأزهر، «قائلاً: أنه لو تثبت خيار أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية لفازوا بدرجة الكمال، وانتظموا فى سلك الأقدمين من فحول الرجال، وكل من سار على الدرب وصل فيقول: ومدار سلوك جادة الرشد والعصابة منوط بعد ولى الأمر- بهذه العصابة بقصد (شيوخ الأزهر وطلابه)»(٣٧).

ويرى أن يضاف إلى دور الأزهر فى نشر السنة الشرعية ورفع أعلام الشريعة الحنيفة، معرفة سائر العلوم البشرية المدنية، التى يعدها مدخلاً من مداخل التقدم، حيث يؤكد على أن إضافة العلوم المدنية إلى العلوم الشرعية تكسب صاحبها مكانة وجلالاً ، ففيها نفع البشرية وإرضاء رب البرية، كما ينفى المقولة التى ترى فى العلوم المدنية علوماً أجنبية، ويؤكد على أن لها أصولاً إسلامية نقلها الغرب عن الشرق فى فترة من فترات النهضة الإسلامية من المكتبة العربية، ولم تزل كتبها إلى الآن فى خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة.. فإن من أطلع على سند شيخ الجامع الأزهر «الشيخ أحمد الدمنهورى» رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير، وأن له فيها المؤلفات الجمة، وأن تلقيها على أيامه كان عند أهل الجامع الأزهر من الأمور المفهمة، وكان رفاعة حريصاً على أن يقتبس من المدارس الأجنبية ونشاطها(٣٨).

(٧) فى تعليم المرأة:

يرى الطهطاوى أن المرأة من أجمل صنع الله القدير، وهى قرينة الرجل فى الخلقة، والمعينة له فى تدبير أموره، والحافظة لأطفاله، والمساهرة على العناية بتدبير أمورهم، والماسحة بيدها همومهم وآلامهم، ولكنها تمتاز عنه بجسم أليف وألطف، وشكل لا يؤهلها لأن تشاركه الأشغال الشاقة، وبنية جسمها على الرقة واللين توجب كونها ألطف من الرجل، وأرق حساسية، فإذا انحرفت عن ذلك كان انحرافاً ناشئاً عن ظروف التربية والبيئة(٣٩).

وفى رأى أحمد بدوى أن رفاعة ربما كان أول من نادى بتحرير المرأة من رتبة الجهل فى العصر الحديث، ويدعم رأيه مسترشداً بكتاب الطهطاوى «المرشد الأمين»؛ حيث يدعو إلى أن تنال الفتاة حظها من العلم، كما يناله الفتى لأمور شتى(٤٠).

أولاً : فللتعلم أثر قوى فى إسعاد بيت الزوجية، وحسن معاشرة الأزواج، فالتعليم يخلق التناسب والتجانس بين الزوجين، ويجعل المرأة أهلاً لمشاركة الرجل فى الكلام وتبادل الرأى، ويبعدها عن سخف العقل والطيش، الذى ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها، وأن حصول المرأة على العلوم والمعارف وثقافتها الممتازة أجمل من صفات الكمال وأرفع قدراً عنه عند الرجل من الجمال.

ثانياً : أن آداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيراً فى أخلاق الأولاد؛ فابنتها الصغيرة إذا رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب، وضبط أمور البيت، والانشغال بتربية أولادها أحبت أن تقلد أمها فى ذلك، على عكس ما إذا رأتها مقبلة على زينتها، وإضاعة وقتها فى هذا الكلام والزيارات، التى لا فائدة منها فإن البنت تشب مضيعة لوقتها، منصرفة عن النهوض ببيتها.

ثالثاً : أن العلم يهيىء للمرأة سبيل العمل فتتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، إذا دفعها الحال إلى ذلك، وهذا من شأنه أن يشغلها عن البطالة، فإن العمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمة فى حق الرجال، فهى مذمة عظيمة فى النساء، فإن المرأة التى لا عمل لها، تقضى الزمن فى حديث جيرانها وفيما يأكلون وفيما يشربون ويلبسون ويفرشون، وفيما عندهم وعندها... وهكذا.

رابعاً : أن التجربة قضت فى كثير من البلاد أن تعليم البنت أكثر ضرورة، بل إنه لا ضرر فيه مطلقاً.

خامساً : أنه روى فى كتب الأحاديث روايات كثيرة عن النساء، وقد كان فى زمن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من يعلم القراءة والكتابة من النساء، وكان من أزواجه- من يقرأ ويكتب «كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر- رضى الله عنهما- «وغيرهن من نساء كل زمن من الأزمان، ويذكر أن لجنة تنظيم التعليم سنة ١٨٣٦م اقترحت دليلاً لتعليم البنات فى مصر، وكان رفاعة أحد أعضاء هذه اللجنة، ولكن الاقتراح لم ينفذ، واكتفى بإنشاء مدرسة للمقابلات والمولدات، ولم ييأس رفاعة عن رأيه، فدافع عنه كاتباً ومتكلماً ومسئولاً،

ومطالباً بتعليم البنات القراءة والكتابة والحساب، وما يليق بهن من الصنائع كالخياطة والتطريز.

وفى سنة ١٨٧٣ م أنشئت أول مدرسة لتعليم البنات فى مصر، أنشأتها «جشم» أخت «هانم أفندى»(٤١).

وفى مشاركة البنات للصبيان فى التعليم، يقول رفاعة: «أنه ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج، تتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك.. فإن هذا يزيدهن أدباً وعقلاً، ويمدهن بالمعارف، ويصلحون به مشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن، وأن تتعاطى النساء من الأشغال والأعمال مما يتعاطاه الرجل على قدر قوتها وطاقتها، فلكل ما يطيقه من النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن»(٤٢).

(٨) دور المنزل فى التربية:

يشير رفاعة الطهطاوى – من خلال مشاهداته فى البلدان الأوروبية – إلى أهمية دور المنزل فى تربية الأبناء، وأن التعليم اللغوى الأول فى حياة الطفل يكتسبه الطفل من المحيطين به فى المنزل، كما أن الأطفال الذين لا يتشربون حب التعليم من والديهم فى الصغر، لايكن لديهم الميل لتعليم أبنائهم فى الكبر.

أى أنه رغم اهتمامه بالثقافة الأوربية إلا أنه لا يفضل التربية الأجنبية – السائدة فى عصره آنذاك– والتى تعتمد على وصيفة تقوم بتربية الأبناء وتخلى الأم عن هذا الدور(٤٣).

(٩) التعليم وأقسامه عند رفاعة:

التعليم هو الوسيلة العظمى التى يكتسب بها الإنسان معرفة ما يجهله كلية، أو ما بقى له من تكميل علمه ببعض أشياء جزئية؛ فالتعليم جزء من التربية المعنوية، التى هى تهذيب العقل وترويض الذهن(٤٤).

وهذه التربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : تربية النوع البشرى ويعنى تربية الإنسان، من حيث هو إنسان؛ أى تنمية مواده الجسمية وقواه العقلية.

القسم الثانى : تربية أفراد الإنسان تربية الأمم والملوك.

القسم الثالث : التربية العمومية لكل إنسان فى خاصة نفسه، وهى تربية الإنسان الخصوصية، فالقسم الأول طبيعى ويكون غالبا فى أيام الصبا وزمن الشبيبة، التى بفواتها يفوت المرام وتضيع الأيام فينبغى ألا تخلو أيام الصبى والصبية من إفادة واستعادة للتحصيل للذكر والأنثى وفى صغر السن أسباب السعادة والسيادة ولايزال لكل منها بتوفيقه تعالى محصلاً للزيادة؛ حتى لا يتأسف أحد منهم عند الكبر على ما مضى من الأعوام، دون الحصول على المراد من أحوال المعاش.

(١٠) مراحل التعليم وأهدافها[٤٥] :

(أ) المرحلة الأولية أو الابتدائية :

وهى مرحلة عامة، يشترك فيها أولاد الفقراء والأغنياء والبنون والبنات، ويدرسون فيها القرآن وأصول الدين والقراءة والكتابة والحساب ومبادىء الهندسة والنحو..

(ب) المرحلة الثانوية :

ويدرس فيها التلاميذ العلوم والرياضة بأنواعها والجغرافيا والتاريخ والمنطق والطبيعة والكيمياء والإدارة المكتبية والفنون والزراعة والإنشاء، وبعض اللغات الأجنبية، ويرى أن ترغب الحكومة الأهالى فى هذا التعليم الذى يكون تمدين جمهور الأمة، ويسهم فى تعليم المهن، على اختلاف أنواعها، بعد الانتهاء من التعليم الثانوى.

(جـ) المرحلة العالية :

وفى التعليم يتخصص الدارسون، ويتبحرون فى علم مخصوص كعلم الفقه أو الجغرافيا أو الفلك أو التاريخ، ويرى أن يكون عدد تلاميذ التعليم العالى محصوراً ، لا يباح الاستيعاب إليه إلا لصاحب الثروة واليسار؛ بحيث لا يضر تفرغه للعلوم العالية بالملكة. فبينما يؤكد رفاعة على انتشار التعليم الأولى، نجده يحدد الطريق للتعليم العالى، وقد يكون هذا سليماً

ولكن الذى نأخذه عليه أن معيار هذا التحديد، كان المركز الاقتصادى والقدرة العقلية والاستعداد عند المتعلمين.

من هذا المنطلق يلاحظ أن الطهطاوى يؤكد على أن التعليمات الأولية والمعارف العمومية يجب أن تعم جميع أولاد الأهالى فقيرهم وغنيهم، وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم الثانوى، الذى يجب أن يكون كثيراً ومنتشراً بين أبناء الأهالى القابلين له والراغبين فيه؛ فيباح لهم التعليم ليكونوا من الدرجة الوسطى بخلاف درجة العلوم العالية المعدة لأرباب السيادات والرئاسات وأهل النحل، والتضييق فى نظامها، بحيث يكون عدد تلاميذها محصوراً على أناس قلائل ومقصوراً، بمعنى أن كل من طلب الاشتغال بالعلوم العالية بحيث لا يضر تفرغه بالعلوم العالية بالملكة، فمن الخطر على من له صناعة يتعيش منها وينتفع به الناس أن يترك هذه الصناعة؛ ليدخل فى دائرة معال المعارف، التى تصرفه عن أن تكون صناعة، فلا ينبغى أن يرخص للتلاميذ المتعلمين العلوم الأولية والثانوية أو انتظموا فى سلك أرباب المعارف القصوى، إذا كانت فى حقهم قليلة الجدوى(٤٦).

ثالثا : محاور التنوير عند رفاعة الطهطاوى :

اعتمد رفاعة اعتماداً كبيراً على التربية بكل محاورها، وفى كل مجالاتها؛ بحيث تكون طريقاً للتنوير، ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن فكر رفاعة التربوى أسهم إسهاماً واضحاً فى تغيير ملامح النهضة الحديثة فى مصر؛ باعتبار أن الاستثمار البشرى بكافة أنواعه هو من أهم الاستثمارات فى كافة المجالات، وأوضح معالم ذلك ما يلى :

(أ) الاهتمام بتعليم البنات:

لقد بدأت فكرة التعليم العام للبنات تتخذ فى مصر شكلاً متميزاً ، يغاير ما كان معمولاً به قبل ذلك، حيث كان تعليم البنات يقتصر على بعض المدارس الأجنبية فى مصر، وكان غالبيتهن قبطيات والقليل منهن مسلمات، ،ولكن فكر رفاعة الطهطاوى مهد إلى تعليم البنات، وذكر ذلك فى كتابة (المرشد الأمين للبنات والبنين)، حيث قال فيه: إن ولى الأمر يمكنه أن يعلم ابنته ما يليق بها من القراءة وأمور الدين، وكل ما يتعلق بالنساء من خياطة وتطريز. وإن اقتضى حال البلاد تعليم البنات الكتابة والحساب وبعض مبادىء المعارف

النافعة فى إدارة المنازل، فلا بأس بتعليم الحساب وما أشبهه لهن. ويشترك الصبيان والبنات فى تعلم الأخلاق والآداب وحسن السلوك(٤٧).

وبذلك استطاع رفاعة أن يغرس بذور التنوير فى عقول أولياء الأمور بتعميم تعليم البنات، واعتبار ذلك من الضروريات، التى لا غنى عنها لكل بنت؛ حيث تسهم بنصيب وافر فى نهضة المجتمع، بدءاً من نهضة الأسرة التى هى النواة الأولى لكل المجتمعات.

كما استطاع رفاعة أن يغير فكرة تعليم البنات التقليدية فى المجتمع المصرى، والتى كانت قاصرة على تعليم أمور الدين فقط، من خلال توضيح أمثلة من التاريخ الحضارى الإسلامى والأوروبى، التى يمكن أن يسترشد بها كل ولى أمر لتعليم بنته التعليم العصرى، مضافاً إلى ما سبق من تعليم حتى يستطعن هؤلاء البنات أن يتفاعلن تفاعلاً موجباً مع متغيرات عصرهن، ويشاركن مشاركة إيجابية فى نهضة المجتمع، وأداء واجبهن فى وظائف عصرية، تتناسب مع طبيعة البنت.

وكان اهتمام رفاعة بتعليم البنت نابعاً من أمور مستقبلية، يجب أن تنالها منذ صغرها؛ لكى يتحقق للفتاة ما يلى(٤٨):

١ – إسعاد بيت الزوجية، حيث أكد رفاعة أن التعليم يخلق نوعاً من التجانس والانسجام الفكرى بين الرجل والمرأة، من خلال تأهيل المرأة تأهيلاً عقلياً ، يجعلها قادرة على مشاركة الرجل فى فكره ورأيه، ويبعدها عن دائرة الاستخفاف بعقلها ورمى أفكارها إلى تيه الصحراء، باعتباره رأياً مخطئا لا يقدم ولا يؤخر، وأكد أن البنت يضعها فى إطار ثقافى متميز، ويرفع صفاتها إلى صفة قيمة العلم وجماله.

٢ – حسن تربية أولادها، حيث يسهم تعليمها فى زيادة معارفها، وبسط أخلاقها، وارتفاع قدرها؛ مما يؤثر على صغارها، ويجعلها قدوة ومدرسة لهم فى حاضرهم ومستقبلهم.

٣ – إعدادها لعمل يناسبها، حيث يعتبر تعليم المرأة إطاراً مرجعيا لما يجب أن تكون عليه؛ حينما تتقلد عملاً يناسب طبيعتها، وبذلك تجمع فضيلة العلم والعمل، وتبتعد عن

رذيلةالجهل والبطالة، كما يقربها من مصاف الرجال فى تأدية الأعمال، ومن هنا يمكنها أن تسهم فى نهضة أسرتها ووطنها.

وبذلك أثبت الطهطاوى- بخبرة دول أوروبا وأمريكا، وبالأدلة العقلية - أهمية وضرورة تعليم البنات فى الحاضر والمستقبل متمسكاً بجذوره التقليدية، ولم ينس أن يوضح مشروعية تعليم البنات من الناحية الدينية؛ حتى يتفق مع ما فى عقول عامة الشعب المصرى من قيم وتقاليده دينية.

وكانت ثمار هذا الفكر مدرسة البنا بالسيوفية (المدرسة السنية)، وهى أول مدرسة عامة حديثة، أنشئت عام ١٨٧٣ بالقاهرة، وما يتبعها بعد ذلك من إنشاء عديد من المدارس، التى يتم فيها تعليم البنات فى مصر.

وهكذا يمكن القول أن ثمار التنوير التى بذرها رفاعة فى مصر، معتمداً على التربية والتعليم أثمرت فيما بعد ثماراً يانعة، كانت أوضح صورها عند قيام ثورة ١٩١٩ م ،والتى احتلت فيها المرأة المتعلمة دوراً بارزاً ، سجله التاريخ بحروف من نور التنوير، الذى أشعل رفاعة الطهطاوى مصابيحه.

(ب) التركيز على التربية السياسية:

لم ينس رفاعة - وهو يبذر بذور التنوير فى وطنه - أن مصر تاج فى مفرق الشرق، لابد أن يتحلى شعبه بالوعى السياسى المستنير؛ حتى يستطيع أن يميز بين الغث والسمين من أمور السياسة والساسة، ومن خلال ذلك يمكنه أن يتجنب ويلات بطش العدو وخيانة الصديق.

ومن هنا اعتبر رفاعة الطهطاوى التربية السياسية ضرورة أساسية لكل المواطنين، بل رفع قدرها؛ بحيث لا تقل أهميتها عن تعليم التربية الدينية، وهو يعلم تماماً أن التربية الدينية تربية الإنسان مع خالقه، والتربية السياسية تربية الإنسان مع صديقه وعدوه، لذا طالب بألا تكون التربية مقصورة على فئة أو طبقة معينة، بل يجب أن تصبح ضرورة لكل المواطنين حتى يستطيع هؤلاء أن يكونوا حراساً على وطنهم، بوعى وفكر منطلقين من معرفة كل فرد لواجباته، وكيف يؤديها على الوجه الأكمل، ومعرفة حقوقه وكيف يطلبها، ولا يتركها منحة أو منة فى يد الحاكم يعطيها متى يشاء ولمن يشاء، وبذلك تصبح الدولة وطناً لكل المواطنين ويصبح الوطن دولة لكل الحاكمين[٤٩].

ونظر رفاعة الطهطاوى إلى أن التربية السياسية أحد أجنحة عمليات التربية الاجتماعية، بحيث إن كل واع مستنير لحقوقه وواجباته يستطيع أن يسهم إسهاماً فعالاً فى رفع مستوى الحياة الاجتماعية، وتحسين طريقة حياة الأمة، من خلال معرفة نظمها وقوانينها ومشكلاتها، وكيف يسهم فى حل هذه المشكلات على المستوى الفردى والمستوى المجتمعى، وكان هذا هو الفكر المستنير، الذى استطاع رفاعة أن يغرسه فى نفوس أبناء المجتمع المصرى، من خلال دعوتهم إلى التربية السياسية، باعتبارها شرارة وطنية، توقظ عين الأمة حينما يغفل ضمير حكامها(٥٠).

وبذلك تهدف التربية السياسية – عند رفاعة – إلى تكوين الوعى بالمواطنة، وما تفرضه على المواطنين من سلوك اجتماعى، هادف إلى الصالح العام، حيث إن فكرة الصالح العام لا يمكن أن تكتمل، إلا من خلال إطار التربية السياسية، حيث إن التثقيف السياسى يعد ذا تأثير معنوى فى تهذيب الأخلاق، وتفهم الأهالى أن مصالحهم الخصوصية والشخصية لاتتم، ولا تتمركز إلا بتحقيق المصلحة العمومية، التى هى مصلحة الحكومة الوطنية، وهذا لا يأتى إلا حين تذعن نفوس المواطنين بأن الفوائد الخصوصية ليست فى حد ذاتها مضمونة الحصول، إلا فى ضمن الفوائد العمومية للوطن، وبهذا أوضح رفاعة أن صالح الدولة ليس مجرد مجموع مصالح الأفراد، ولكن مجموع مصلحة الوطن عموماً بجانب مصلحة الفرد(٥١).

كما أمكن لرفاعة أن يستهدف بالتربية السياسية فى الدولة الحديثة تأصيل مفهومى (الأخوة الوطنية، ومحبة الوطن)؛ باعتبار أن هذا الوطن ملك للجميع، ومطلوب من الجميع الدفاع عنه بمعيار الانتماء القومى والوطنى، ونبذ خلافات التفرقة الدينية، التى تخلخل الأخوة الإنسانية، وتفقد المجتمع روح شعبه، وتحطم الانتماء لأرضه.

(جـ) الاهتمام بالعلوم الحديثة:

نظراً لأن رفاعة الطهطاوى كان من أوائل الطلاب، الذين بعثهم محمد على إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م، فقد كان لبعثته أثراً كبيراً فى نفسه، حيث غيرت لديه عديداً من مفاهيم الفكر الإنسانى، وعرف أن ما تقوم المدارس بتدريسه فى مصر، لا يمثل سوى القليل النادر من كم المعرفة التى انفجرت فى أوروبا آنذاك، وقد انغمس الطهطاوى بفكره الثاقب فى الجانب العلمى من الحياة الفرنسية، وأثرها على نهضة هذه البلاد، كما عرف أن للعلم مؤسسات

كثيرة وفروعاً متعددة، وقد استهوته جهود العلماء الفرنسيين فى الدراسات العربية والمصرية، وكان هؤلاء العلماء موضع تقديره واحترامه، وعرف منهم كيف تمتاز العقول؛ ليصبح نور العلم مفتاح تقدم الأمة.

وحينما عاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر، أعلن – بكل قوة – ضرورة أن تتحول مناهج التعليم فى مصر إلى أبواب المعرفة الجديدة، وكان قمة ذلك فى اقتراحه على محمد على بتأسيس مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦ م لتدريس اللغات الأوربية والترجمة؛ حتى تكون هذه المدرسة بداية الاتصال الحقيقى بالحضارة الأوروبية؛ حتى يستطيع خريجو هذه المدرسة الإسهام فى نقل كثير من معارف الغرب إلى مصر(٥٢).

كما دعا الطهطاوى إلى عدم الاقتصار على دراسة العلوم اللغوية والدينية، كما كان الأمر فى الأزهر وسائر المعاهد الدينية، وأوجب إلزاماً تعلم العلوم الحديثة؛ لما لها من الأثر الذى لا ينكر فى بناء المجتمع الحديث، وتغيير ملامح الحياة المادية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق التوازن مع متغيرات العصر، الذى يجب أن يعيشه الإنسان المصرى، باعتباره وليد أصحاب حضارات، أثرت على العالم منذ القدم بالعلم والمعرفة، ويجب عليه ألا يترك منافذ العلم التى فتحت فى دول أوروبا، دون أن يأخذ منها، ويسهم بما أخذه فى تطوير مجتمعه؛ حتى يمكنه حل مشكلاته وتسخير بيئته لرفاهيته.

وإن التقدم العلمى الذى حدث فى أوروبا ساهم – بصور شتى – فى تغيير تفكير الإنسان، وكيفية الاستفادة من أخيه الإنسان، وإدراكه خطورة الانغلاق على عقلية واحدة، وهو ماكان سائداً فى مصر قبل عصر محمد على، ونتج عنه تفكير جامد وسلوك عقيم وحركة رتيبة وتقدم غير ملموس، أثر بدوره فى مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر فى ذلك الوقت(٥٣). لقد كان لابد أن يؤكد رفاعة على ضرورة الاهتمام بالعلوم الحديثة؛ باعتبارها منطلقاً إلى التجديد فى كل مجالات الحياة.

واستطاع رفاعة أن يغير مفهوم العلم وأهميته الحضارية، متأثراً بما عاشه وتعلمه من فرنسا، وأكد أن البحث العلمى لا يقتصر مطلقاً على دراسة المتون والشروح فى المعقول والمنقول، بل يجب أن يعدى كل ذلك، ويتناول كل القضايا الخاصة بالكون والإنسان قديماً وحديثاً ، وأن يستفيد من ذلك كله فى رفعة الإنسان وزيادة رفاهيته؛ ليصبح سلوكه سلوكاً

متسماً بالإنسانية فى التفكير والتدبير والنظرة والعمل، مدركاً خطورة الآثار المادية التى تنجم عن تطبيقات العلم ومتحاشياً إياها.

وفى هذا نستطيع أن نقول إن الفكر العلمى عند الطهطاوى، كان فكراً يعتمد على التربية فى تحقيق ما يستهدفه من تنوير للمجتمع المصرى؛ لتصبح حركة هذا المجتمع وإيقاعها مرتبطة بحركة العالم وتقدمه، ولو استطعنا أن نسلك ما أراده هذا الرجل، لما كان ذلك المجتمع يصنف الآن ضمن مجتمعات الدول النامية.

وإذا كان هذا هو تفكير رفاعة فى القرن التاسع عشر.. فإنه بالأحرى- ونحن نستقبل القرن الحادى والعشرين- أن نعيد قراءة التاريخ مرة أخرى، ونحاول أن ننقى مناهج التربية والتعليم من الغث؛ لكى نستبد له بالسمين؛ حتى تستطيع أجيال اليوم أن تعيش القرن القادم مع نظائرها، من أبناء الدول المتقدمة بالعلم والمعرفة.

(د) تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب:

أكد رفاعة الطهطاوى على حق كل أبناء الشعب فى التعليم الأولى، ولم يستثن منهم أحداً ، حتى أرباب الحرف والصناعات المتدنية، مؤكداً قيمة التعليم لهم وأهميته فى تكوينهم بصورة أفضل فى المستقبل؛ بغض النظر عن وضعهم الاجتماعى أو الوظيفى، كما أكد رفاعة على أن من واجب الدولة أن تهيىء تعليماً ابتدائياً لكل أفراد الأمة من الذكور والإناث؛ حتى يستطيع هؤلاء أن ينالوا حظاً متساوياً من التعليم، يهيىء لهم ظهور استعداداتهم وملكاتهم فى مرحل التعليم التالية.

ولم ينس رفاعة أن تترك الحرية فى التعليم الثانوى والعالى لعامة أبناء الشعب؛ بشرط أن يتم الاختيار وفق الاستعدادات والقدرات الفردية فقط؛ بغض النظر عن المستوى الاجتماعى، وأن من واجب الدولة أن تشجع الأبناء المتفوقين على الالتحاق بالتعليم الثانوى، بعيداً عن حكره على أبناء الطبقة العالية، أو من هم قريبون منهم، وقد سبق رفاعة فكر «جان جاك روسو» حينما قصر التعليم الثانوى على الطبقية، وجنب منه فقراء الشعب، والفرق بين «روسو» والطهطاوى فرق فى إنسانية الإنسان، فالطهطاوى يرى - على عكس روسو - ضرورة التعليم الأولى لكل المواطنين والثانوى، لكل من عنده استعداد لذلك؛ بغض النظر عن انتمائه الطبقى، منادياً بذلك على ضرورة تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب(٥٤).

ولقد أثر فكر رفاعة الطهطاوى فى ضرورة شمولية أبناء المجتمع بالتربية والتعليم على نظرته فى تعريفات التربية ذاتها؛ مما جعل موضوع التربية عند رفاعة منصباً على الطفل ذاته، وليس الطبقة؛ حتى يستطيع الإنسان أن يتغير بالتربية من الحسن إلى الأحسن، ومن الصالح إلى الأصلح، وأدرك رفاعة – رغم تميزه بعض الشيء إلى طبقية التعليم العالى– على أن التربية قادرة على إحداث حراك اجتماعى، ويمكن أن تسهم بدرجة كبيرة فى تذويب الفروق بين الطبقات؛ حتى لا تصبح الفجوة كبيرة بين أبناء الشعب؛ مما ينتج عنه الحقد والكراهية اللذين هما نتاج عدم تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء المجتمع الواحد، وهو ما أدركه رفاعة الطهطاوى فى ضرورة إيجاد هذا التكافؤ.

ومما يدل على فكر رفاعة الثاقب أن ثورة ١٩٥٢ م نادت بضرورة تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب المصرى، سواء أمام الفرص التعليمية، وليس أدل من ذلك من إلغاء الازدواجية فى التعليم ومجانيته التى ظهرت آثارها الآن على كثير من الطبقات الاجتماعية الدنيا والمتوسطة فى تعليم أبنائهم، بل وقفزت بهم فى حراك اجتماعى رأسى إلى طبقات متميزة اجتماعياً.

وبعد أن انتشرت المدارس بكل أنواعها ومختلف مجالاتها فى كل ربوع مصر.. يجب أن يعاد النظر فى مبادىء تكافؤ الفرص؛ خاصة فى مجال العليم العالى، مستنيرين بفكر رفاعة؛ حتى يمكن أن تفنن الفرص المتاحة لكل أبناء الشعب؛ حتى يحظى كل منهم بالفرصة المناسبة لاستعداداته وقدراته؛ مما يجعله قادراً على الاستمرار فى التعليم، متخطياً كل صعوباته؛ ليصبح مركزاً للإيداع والتنوير لمجتمعه فى المستقبل.

رابعاً : رفاعة الطهطاوى واستخدامه للتربية سلاحاً للتنوير :

مما سبق.. يمكن أن نستخلص أن رفاعة استطاع أن يستخدم أشق الطرق؛ ليحقق من خلالها بناء أبناء مصر؛ باعتبارهم هم المستقبل؛ لذا جاءت اهتمامات رفاعة متعددة ومتنوعة لتوحى بمدى اهتمامه بأبناء وطنه، منطلقاً من أن التربية هى أمضى الأسلحة؛ حيثما تتعدد مجالاتها، وتتنوع معارفها ومصادرها، ولذا حارب رفاعة التربية التقليدية التى كانت تستهدف إنساناً يعيش يومه فقط، ولا يعرف غالباً إلا نفسه، فأضاف رفاعة عليها فى مناداته باستخدام التربية الحديثة.

لذا .. كانت اهتمامات رفاعة بالتربية الحديثة كسلاح لتنوير أبناء الشعب، بعد أن أدرك أهمية ذلك، وجاء فكره متمشياً مع هذه الاهتمامات؛ حيث أكد على أهمية الأخذ بالعلوم الحديثة، التى تساعد أبناء الأمة على تعرف التقدم فى المجالات المختلفة، وأن يأخذوا هذه العلوم بطريقة كلية غير مجزأة، يستفيد منها كل طبقات الشعب، وكذلك جميع أبناء الشعب على اختلاف أنواعهم، ومزودين بالوعى السياسى، الذى يجعل منهم مواطنين صالحين، يستفيدون من تلك العلوم فى خدمة مجتمعاتهم فى الماضى والحاضر والمستقبل، غير معرضين وحدتهم الوطنية للتفكك من الانهيار، مؤدين واجباتهم، مطالبين بحقوقهم بأسلوب شرعى، يتفق مع الأصول الإنسانية وجوهر قيم الوطن، بفضل ما تزودوا به من أصول تربوية حديثة، تنمى فيهم القيم الاجتماعية العليا، التى تنبذ الأنانية وتحقق الجماعية.

وعلى الرغم من أن المحاور السابقة تُعد جزءاً قليلاً ، مما استخدمه رفاعة فى دعم مسيرة التنوير فى وطنه، إلا أننا نستطيع أن نجعل هذه المحاور إطاراً مرجعياً لتصحيح مسار التربية والتعليم فى مصر، بدءاً من الأهداف العامة للتربية، وانتهاءً بحركة المعلم والتلميذ فى الفصل؛ حتى يمكن أن تستفيد من التربية، التى استهدفها رفاعة طريقاً للتنوير فى مصر فى المستقبل.

وهذا يتطلب من القائمين على أمور التربية والعليم فى كل مجالاتها أن يدققوا النظر فيما يجب أن يناله المتعلم فى حياته التعليمية؛ حتى يصبح هدف التربية إعداد مواطنين صالحين لأنفسهم ومجتمعهم ولزمانهم ومستقبلهم، متخطين حدود إقليمهم، منطلقين إلى آفاق العالم الكبير، مدركين أن هذا العالم الكبير فى جغرافيته لم يعد أمام العلم الا قرية صغيرة، يجب أن تتصل بها، ويستفيد منها، ويتفاعل معها، باعتباره جزءاً منها.

ومن هنا نؤكد أن رفاعة الطهطاوى كان أمة لمصر الحديثة، حينما اعتلى هذا الدرب الطويل الشاق؛ ليصل بأمته إلى ما شاهده، وتفاعل معه من حضارة أوروبا الغربية، آملاً أن يستفيد أبناء وطنه من هذه الحضارة، ويربطوا أمجادهم الحضارية الماضية بمستقبل أكثر وأنضر، مما عاشته حضارة مصر القديمة؛ لاستكمال المسيرة، وتحقيق الاتصال بين الماضى والحاضر والمستقبل.

قائمة المصادر :

١ – جمال الدين الشيال، **رفاعة رافع الطهطاوى، نوابغ الفكر العربى**، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٠، ص ص ٦ – ٨.

٢ – **المرجع السابق**، ص ١٢.

٣ – أنور لوقا غبريال، **ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ص ٣٦ – ٣٩.

٤ – عبدالمتعال الصعيدى، **المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر**، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت، ص ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

٥ – **المرجع السابق**، ص ٤٤٩.

٦ – جمال الدين الشيال، **مرجع سابق**، ص ص ١٧ – ١٩.

٧ – إبراهيم عـزوز، **رفاعة الطهطاوى، للصف السادس من التعليم الأساسى**، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٧، ص ٢٤.

٨ – أحمد أحمد بدوى، **رفاعة الطهطاوى** بك، القاهرة، نخبة البيان العربى، ١٩٥٠، ص ١٢.

٩ – محمد منير مرسى، **تاريخ التربية فى الشرق والغرب**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤، ص ٤٧٢.

١٠ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ١٣.

١١ – محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ٤٧٢.

١٢ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ١٣.

١٣ – حسن الفقى، **التاريخ الثقافى فى التعليم فى مصر**، القاهرة، دار المعارف ط٣، ١٩٨٤، ص ٥.

١٤ – سعد مرسى، **مختارات من تطور الفكر التربوى**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣، ص ١٤٥.

١٥ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ١٤.

١٦ – البدراوى زهران، **رفاعة الطهطاوى ووقفة مع الدراسات اللغوية مع النص الكامل للتحفة المكتبية**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣، ص ٥.

١٧ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ٧٧.

١٨ – سعد مرسى، **مرجع سابق**، ص ٢٤٥.

١٩ – البدراوى زهران، **مرجع سابق**، ص ٦.

openkanal.com

٢٠ – حسن الفقى، **مرجع سابق**، ص ٥١.

٢١ – أنور لوقا غبريال، **مرجع سابق**، ص ٤٠.

٢٢ – **المرجع السابق**، ص ٢٧.

٢٣ – **المرجع نفسه**، ص ٤١.

٢٤ – إبراهيم عزوز، **مرجع سابق**، ص ص ٩٣ – ٩٤.

٢٥ – حسن الفقى، **مرجع سابق**، ص ص ٥١ – ٥٢.

٢٦ – **المرجع نفسه**، ص ٥٢.

٢٧ – محمد منير مرسى، **مرجع سابق**، ص ٤٧٣.

٢٨ – حسن الفقى، **مرجع سابق**، ص ٥٥.

٢٩ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ص ٣٢٠ – ٣٢٢.

٣٠ – محمود فهمى حجازى، **أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ص ص ٩٣ – ٩٤.

٣١ – **المرجع السابق**، ص ص ٩٥ – ٩٦.

٣٢ – **المرجع السابق**، ص ١٠٥.

٣٣ – سعد مرسى أحمد، **تطور الفكر التربوى**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٥، ص ص ٤١٣ – ٤٢٤.

٣٤ –سعد مرسى، سعيد إسماعيل على، **تاريخ التربية والتعليم**، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧٤، ص ص ٢٩٥ – ٢٩٧.

٣٥ – سعد مرسى، وسعيد إسماعيل على، **مرجع سابق**، ص ٤٢٥.

٣٦ – **المرجع السابق**، ص ٤٢٦.

٣٧ – **المرجع السابق**، ص ٤٢٧.

٣٨ – محمود السيد سلطان، **مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

٣٩ – **المرجع نفسه، والصفحة نفسها.**

٤٠ – أحمد أحمد بدوى، **مرجع سابق**، ص ص ٣٢٠ – ٣٢٢.

٤١ – محمد عمارة، **الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٣م، ص ٣٩٣.

٤٢ – **المرجع السابق**، ص ٣٩٣.

٤٣ – **المرجع السابق**، ص ٣٩٥.

٤٤ – حسين فوزى النجار، **رفاعة الطهطاوى**، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت، ص ص ١٧٦ – ١٧٧.

٤٥ – سعد مرسى، مخارات من تطور الفكر التربوى، **مرجع سابق**، ص ٢٥٢.

٤٦ – محمد عمارة، **مرجع سابق**، ٣٨٩.

٤٧ – محمود فهمى حجازى، **مرجع سابق**، ص ١٠٢.

٤٨ – سعد مرسى أحمد، تطور الفكر التربوى، مرجع سابق، ص ص ٤٢٨ – ٤٢٩.

٤٩ – أحمد عزت عبدالكريم، **تاريخ التعليم فى مصر**، جـ ١، القاهرة، مطبعة النصر، د.ت، ص ٥٦٧.

٥٠ – أبو الفتوح رضوان، رفاعة رافع الطهطاوى أول رائد للتربية والتعليم فى مصر الحديثة، **مجلة الرائد**، يناير ١٩٥٩، ص ٢٠.

٥١ – محمود فهمى حجازى، **مرجع سابق**، ص ١٨٠.

٥٢ – عبدالعزيز نوار وآخرون، **تاريخ مصر والعرب الحديث**، القاهرة، مطابع روزا اليوسف الجديدة، ١٩٩٢، ص ٥٤.

٥٣ – يوسف صلاح الدين قطب، «التربية العلمية فى عصر العلم»، القاهرة، **مجلة العلوم الحديثة**، العدد الأول، السنة ٣٧، سبتمبر ١٩٩٣، ص ٥.

٥٤ – محمود فهمى حجازى، **مرجع سابق**، ص ١٠٠.

دور الاتساق الثقافى فى تحقيق التغيير المخطط لأهداف التربية

مقدمة :

إن بناء الإنسان فى أى مجتمع من المجتمعات يحتاج إلى مجموعة من المؤسسات التربوية؛ لكى تشارك فى عملية البناء؛ حتى يكون الفرد متسقا مع الجماعة، ليكونوا بناء قوياً لا يتأثر بعديد من التحديات التى يهدف البعض منها إلى إضعاف هذا البناء.

وباعتبار أن الإنسان هو الكائن الثقافى- دون غيره من الكائنات- يبدعها ويتفاعل معها، ويكون من خلالها سياج أمن، دون متغيرات العصر فى كل الفترات. والناظر إلى التاريخ القديم والحديث يتحقق من أن اختلال الأمور طريق للانهيار، فكم من أمة خاب سعيها، وانحط شأنها، حينما يساء تخطيط أهلها أو أعرضوا عن طريق العقل، وكم من أمة ملكت زمام الأمور، وصعدت الى المجد بعد نكسة، عندما اشتد عزم أهلها، وأعملوا الفكر، وأحسنوا التخطيط والتنفيذ.

وإذا كنا نعيش اليوم فى عالم مفتوح، متعدد الفلسفات، معقد التركيب، أجبر الإنسان على رفض الثبات وسط هذه المتغيرات المتسارعة للبحث عن مزيد من التغيير. وحتى لا ينشأ الصراع والتناقض بين الإنسان ونفسه، والإنسان وغيره من أبناء الجيل الواحد، وبين الأجيال المختلفة فى النظم ومناحى الفكر والاتجاهات، وحتى لا يؤدى هذا الاختلاف إلى تفاوت كبير فى النظرة إلى الحياة وغايتها ووسائلها المشروعة؛ مما يعطل التغيير المستهدف لأهداف التربية التى هى فى صالح الفرد والجماعة(١).

كل ما سبق يجعل هناك ضرورة لتكوين مستوى فكرى واحد- على الأقل- فى الأمور، التى تهم المجتمع، وتخدم مستقبله، والتى لا غنى عنها لتأكيد استمراريته فى الحياة الحضارية، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال فكر ثقافى واحد، يشترك فيه كل المسئولون عن الثقافة؛ بحيث يحقق ناتج كل ذلك اتساقاً ثقافياً، يسهم فى تكوين الإطار العام لعموميات الثقافة؛ بحيث تحمى الانحرافات الدخيلة والازدواجية المقصودة.

---

(١) سليمان حزين، خطط الإصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى، القاهرة، مطبعة مصر، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية، ١٩٥٠، ص ٢٩.

ويعتبر اختلاف فكر أجهزة الثقافة قنبلة موقوتة، تدمر الفرد وكيان المجتمع، ومن ثم تصبح فى حاجة ماسة إلى اتساق فى الفكر والرأى؛ لتكوين اتجاهات، تخدم تكتلات جماهير المجتمع لصالح أنفسهم. وباعتبار أن أهداف التربية فلسفات عليا للدولة.. فإنها إن لم تجد تعضيداً من أجهزة الثقافة والإعلام المختلفة يشد أزرها ويحقق طموحها.. فلن يتحقق أبدا تغيير مخطط لأهداف التربية.

مشكلة البحث :

وبما أن أجهزة الثقافة وروافدها المتعددة يمكن أن تسهم فى تسخير برامجها لخدمة الأهداف التربوية؛ ليتحقق الدعم الكامل لصالح التغيير التربوى، المستهدف لخدمة الفرد والمجتمع.. فمن الضرورى أن يكون الاتساق الثقافى من أعمق الوسائل، التى تسهم فى التغيير المخطط لأهداف التربية.

وإيماناً بأن التربية النظامية فى حاجة ماسة إلى وسائل دعم من الأجهزة الثقافية المختلفة؛ لتحقق نجاحها فى تغيير مخطط لأهداف التربية؛ بحيث تكون قادرة على مجابهة المستقبل والصمود ضد كل تدخل مهلك للمجتمع،وبذلك تبرز مشكلة الدراسة الحالية، والتى يمكن بلورتها فى السؤال الرئيسى التالى:

ما دور الاتساق الثقافى فى تحقيق التغيير المخطط لأهداف التربية؟

ومن هذا السؤال تتفرع التساؤلات الفرعية التالية:

١ – ما أثر تناقض التوجهات الثقافية على الفرد والمجتمع؟

٢ – ما أهمية الاتساق الثقافى فى تحقيق التماسك والصلابة، المطلوبين للتغيير المخطط فى أهداف التربية؟

٣ – ما مضمون التغيير المخطط لأهداف التربية؟

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة الحالية من معرفة دور الاتساق الثقافى بين أجهزة الثقافة المختلفة، فى تحقيق تغيير مخطط لأهداف التربية، كما تهدف إلى إلقاء الضوء على المشكلات المترتبة

على التناقض بين أجهزة الثقافة المختلفة، وخطورتها على الفرد والجماعة، وإلقاء الضوء على الأهداف التربوية، التى نحن فى حاجة إليها؛ ليكتمل البناء فى الفرد، ويعلو به عن الصغائر والتفاهات.

حدود الدراسة :

نظراً لتعدد المصادر الثقافية التى ينهل منها الإنسان، مما يحتم تحديد أهم هذه المصادر التى تؤثر على الفرد والمجتمع، ويكون لها دورها الرئيسى فى تحقيق التغيير المنشود للتربية، لذا تحددت الدراسة فى معرفة خطورة أجهزة الإعلام المختلفة (المسموعة والمرئية والمقروءة) على الفرد والمجتمع.

وقد تم التحديد السابق للأسباب التالية:

١ – سعة الموضوع واتساع مجالاته.

٢ – صعوبة تحديد دور منظمات ومؤسسات كل جهاز ثقافى، على حدة.

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الوصفى؛ لتحليل النتائج المترتبة على التناقض الثقافى، وعدم اتساق توجهاته، كما تناولت أسلوب التحليل الفلسفى؛ لاتفاقه مع تساؤلات الدراسة وصياغتها.

مصطلحات الدراسة :

١ – الاتساق الثقافى :

ورد فى مختار الصحاح عن مادة الاتساق أنها تعنى جمع الشىء وعدم تفرقته[١] ، وترى الدراسة الحالية أن الاتساق الثقافى هو «تكوين علاقة إيجابية بين الهيئات والمؤسسات والمنظمات المسئولة عن عموميات الثقافة؛ لتحقيق فكر مشترك بين الأفراد وأنفسهم، وبين الأفراد والمجتمع، يقلل من حدة الصراع أو تضارب المصالح؛ للإسهام الموجب فى التغيير المخطط لأهداف التربية».

---

(١) محمد الرازى، مختار الصحاح، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٢، ص ٧٢١.

٢ – التغيير المخطط للتربية :

هو «تخطيط علمى موضوعى، يجمع بين مجهود المدرسة وأجهزة الثقافة فى المجتمع؛ لتحقيق التغيير المقصود فى أهداف التربية، والتى يمكن من خلالها مقاومة قوى الانحراف الثقافية، التى تعطل التنمية بكل مجالاتها.

الدراسات السابقة :

لا يجزم بأن هذا الموضوع جديد فى نظرته، حيث تناوله كثير من الدارسين، وإن اختلفت مناحى توجهاتهم العلمية، ومن المفيد الاطلاع على بعض هذه الدراسات لتكون نبراساً للدارس، وحتى تكون الدراسة الحالية تكملة لما فى هذه الدراسات من قصور.

(١) دراسة كمال الدين حسين ١٩٧٥م[١] :

تناولت هذه الدراسة أهمية الاتصال المباشر وغير المباشر فى تحقيق تنمية اقتصادية اجتماعية بالمجتمع الريفى، واهتم الدارس بما يلى :

(أ) مدى تأثير وسائل الاتصال فى التنمية.

(ب) أهمية الأساليب المستخدمة فى الاتصال؛ لتحقيق الأهداف المخطط لها، وحددت الدراسة مجالات مناسبة لتحقيق التنمية المطلوبة فيما يلى:
(أ) تنويع وسائل الاتصال لتحقيق الملاءمة فى الفروق الاجتماعية بين السكان.
(ب) اتساق وسائل الاتصال، للتركيز على ما هو مطلوب التأثير فى جانبه.

(٢) دراسة شاهيناز طلعت ١٩٧٦م [٢] :

قامت الباحثة بدراسة ميدانية لإيضاح دور وسائل الإعلام فى التنمية الاجتماعية، وقد اختارت أحد برامج الإذاعة والتليفزيون؛ لإثبات دورها فى عملية التخطيط لتغيير مستهدف، نحو تنظيم الأسرة المصرية، وأثبتت مدى الفاعلية، التى أثرت فى الرأى العام.

---

(١) كمال الدين حسين، وسائل الاتصال ودورها فى تنمية المجتمع الريفى، القاهرة المؤسسة العامة لاستزراع وتنمية الأراضى، ١٩٧٥.

(٢) شاهيناز طلعت، دور وسائل الإعلام فى التنمية الاجتماعية، رسالة دكتوراه قدمت الى كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

وقد استخدمت الباحثة أدوات ميدانية؛ انطلاقا من المنهج المستخدم فى الدراسة، وتم معالجة البيانات إحصائيا؛ للوصول إلى درجة عالية من الإثبات العلمى لأهمية الاتساق بين وسائل الإعلام فى غرس ثقافة معينة أو تخطيط مطلوب.

(٣) دراسة حجازى ١٩٨٤[١] :

أوضحت هذه الدراسة خطورة عدم الاتساق الثقافى بين الكتابات المتداولة فى الصحف والمجالات الصادرة، فى اثنى عشر قطراً عربياً؛ حيث دلت الدراسة على أن جملة المفردات المستعملة فيما يقرأه التلاميذ العرب ويكتبونه وينطقون به ويسمعونه، تبلغ حوالى ٥٣٥ ألف كلمة، منها ٣٩ ألفا فقط متداولة فى جميع الأقطار المعنية.

وتؤكد الدراسة أن ٤٩٦ ألف كلمة غير متداولة بين هذه الأقطار المعنية، وهذه أكبر خطورة تتعرض لها أجيال العرب؛ لعدم اتساق أفكارهم من خلال الاختلافات اللفظية.

وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة التى سبقه بها الآخرون.. إلا أن هذه الدراسة تعد تكملة على الطريق؛ لتحقيق نظرة تحليلية فى أهمية الاتساق الثقافى بين الأجهزة المعنية، ومسئوليتها تجاه تحقيق التقدم والرفاهية للمجتمع.

(٤) دراسة عبدالله القويز ١٩٨٦[٢] :

تناولت هذه الدراسة موضوع التواصل الثقافى بين دول مجلس التعاون الخليجى، من حيث أهمية تكوين علاقة موجبة بين السلطة والمثقف، واعتمدت الدراسة على ثلاثة محاور، هى:

(أ) هموم الثقافة العربية والمصير المشترك.

(ب) المواجهة القائمة بين السلطة والمثقف.

(جـ) التقصير فى إدراك وظيفة السلطة، ودور المثقف فى المجتمع.

---

(١) أحمد عبد المعطى حجازى، خطورة الاختلافات اللفظية على أبناء الوطن العربى، الكويت، دراسة منشورة بجريدة الصباح ١٧ أغسطس، سنة ١٩٨٤.

(٢) عبدالله القويز، التواصل الثقافى بين دول التعاون الرياضى، مجلة التعاون ع٣، ١، ١٩٨٦.

وانتهت الدراسة بعرض مجموعة من التوصيات، أهمها:

(١) الاهتمام بالإنسان العربى، وجعله محور ارتكاز لعمليات الثقافة.

(٢) الاهتمام بالعملية التربوية ووسائل الاعلام؛ باعتبارها من أهم الوسائل التى تحقق التواصل.

وتعرض الإجابة عن تساؤلات البحث بالتحليل التالى :

أولا : اثر تناقض التوجهات الثقافية على الفرد والمجتمع.

تعتبر أجهزة ومؤسسات الثقافة المصدر الأول لتحقيق الاتساق التعميمى لسلوك المجتمع، وزيادة الروابط والصلات القائمة بين السمات الثقافية، التى تشكل بناءً محدداً ومتماسكاً لتحقيق استمرارية الوجود.

ولذلك.. فإن أى اختلاف فى درجة الاتساق يخلق انحرافاً فى النظر، والنظرة للمشكلة أو الموقف، ينعكس على وحدة الجماعة وتماسكها، ونذكر فيما يلى خطورة عدم الاتساق بشىء من الإيجاز.

(أ) خلق صراع قيمى بين الفرد ونفسه، والفرد والمجتمع :

هناك قيم مطلقة تنبع من عموميات ثقافة المجتمع، وعلى الأجهزة والمؤسسات العاملة فى هذا المجال أن تراعى حرفتها وتقدس حدودها؛ حتى تبعد أفراد المجتمع عن الصراع والشك الدائر بين القول والفعل.

وقد أرجع بيبير (Pepper) الصراع القيمى الى عدم الاتساق الثقافى بين تعاليم الأسرة والتطورات الحضارية فى المجتمع، ومن ثم تختلف الاتجاهات الجماعية؛ بسبب عدم وجود قاعدة مشتركة فى الاتجاهات وقواعد السلوك[١].

---

(١) محمد الهادى عفيفى، التربية والتغيير الثقافى، القاهرة، الانجلو، ط ٤، ١٩٧٥ ص ١٣٣.

وتنظر المدرسة الاجتماعية -خاصة مدرسة دور كهايم- إلى طبيعة القيم على أنها ممارسات سلوكية، مصدرها المجتمع والعقل الجمعى، وهذا يؤكد ضرورة الاتساق بين الدين والاقتصاد؛ لكى تؤلف منظومة قيمية كمثال لأهمية توحيد الفكر بين المظاهر الاجتماعية للثقافة(١).

(ب) ثنائية التفكير :

إن من أوضح ملامح اختلاف الأجهزة المسئولة عن الثقافة، انحراف التفكير الجمعى عن المستوى المطلوب، خاصة فى بعض الموضوعات التى تتطلب إجماعاً فكرياً ؛ لتحقيق إطار واحد فى التفكير، يحقق للمجتمع سلامته من الانحراف.

ولعل من أهم مظاهر سمات ثنائية التفكير ما يشاهده المجتمع من جماعات متطرفة، تشذ بسلوكها عن قواعد العقل الجمعى، وتعرض نفسها والمجتمع لمخاطر جسيمة، تفقده السرعة المناسبة للتطور والتقدم المنشود(٢).

(جـ) الازدواج الثقافى :

يشير الرفاعى(٣) إلى أن الثقافة الأجنبية ساهمت فى ازدواج الثقافة المصرية، ويذكر أن هذه الثقافة كانت فى الماضى تأتى إلى مصر من اليونان والرومان ومن الترك والفرنجة. وفى العصر الحديث جاءت من أوروبا وأمريكا، وأصبحت تعيش معنا فى شكل منتجات وأدوات مادية ومعنوية، عملت وسائل الاعلام على نشرها بين أفراد المجتمع، وشكلت اتجاهين من السلوك: أحدهما يساير هذه الثقافة ويتفاعل معها، والآخر حاقد عليها وعلى من يسايرها.

(١) سعد الدين إبراهيم ،نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية، القاهرة، المؤتمر العلمى الثانى للاقتصاديين المصريين، ١٩٧٨ ص ٥٣.

(٢) محيى الدين صابر، دور الجامعة العربية فى التوجيه الثقافى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣ ص ٢٩٢.

(٣) عبدالعزيز الرفاعى، الطابع القومى للشخصيةالمصرية بين الإيجابية والسلبية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١ ص ١٨٩.

وتتمثل الخطورة الناتجة من الازدواج الثقافى، فى وجود حياتين سلوكيتين مختلفتين للمصريين؛ مما يسبب صداماً مع النفس من جانب، ومع الآخرين من جانب آخر؛ نظرا لأن المصريين لديهم خاصة «التصلب النسبى»[١]؛ حيث تسهم هذه الخاصية بدرجة كبيرة فى الحفاظ على الجانب الثقافى، الذى ورثه المصريون من القدماء، إلا أن عامل السرعة وزيادة الضغوط المختلفة تجعلان كثيراً من المعنويات تتغير بفعلها.

ولعل أبلغ تغيير عن خطورة الازدواج الثقافى ما قدمه القانون ٢١٠ لسنة ٥٣[٢] ؛ لتحقيق الاتساق فى سلم التعليم ومؤداه؛ لكى نأمن عواقب الانفصال فى الشخصية المصرية، التى عانت – بصور شتى – من أنواع من الغزو الثقافى لهذه الشخصية، التى يريد المستعمر طمسها.

(د) فقد جوهر التقدم الاجتماعى :

لعل أخطر ما يمكن ملاحظته من عدم الاتساق الثقافى بين الأجهزة، والموسسات المسئولة عن المد الثقافى بين طبقات المجتمع، هو أن يتحول هذا المد الى تقديم بريق حضارى بعيد عن الجوهر، وفاقد للقيمة الحقيقية فى التقدم الاجتماعى؛ حيث يعتمد هذا التقدم كثيرا على العلم، والعلم منهج وطريقة قبل أن يكون معارف ومعلومات مشتتة وغير متسقة[٣].

وإذا كان التقدم الاجتماعى مبنياً على التفكير العلمى.. فإن عدم الاتساق بين الأجهزة المسئولة يفقد جوهر هذا التقدم، الذى من خلاله يحدث التغيير المخطط والمستهدف لنهضة المجتمع وتطوره، وملاحقة العصر الحديث، الذى نعيش خطاه المتسارعة، والذى يفقد من لا يجيد السير فيه توازنه، وينتهى وجوده آجلا أم عاجلا.

والحقيقة التى تغيب عن كثير من أجهزة الثقافة المتعددة– فى كثير من البلدان النامية– أن دورها هو تقديم مستوى فنى أرقى من غيرها بالدرجة الأولى، وتتناسى فى خضم هذا

---

(١) عزت حجازى، الشخصية المصرية بين السلبية والإيجابية، القاهرة، مجلة الفكر المعاصر، عدد ٥٠، سنة ١٩٦٩ ص ٤٢.

(٢) وزارة التربية والتعليم، القانون ٢١٠ لسنة ٥٣ بشأن التعليم الابتدائى.

(٣) مصطفى المصمودى، النظام الإعلامى الجديد، الكويت، عالم المعرفة، عدد ٩٤، ١٩٨٥، ص ٩.

الرقى ما هو مطلوب للفرد والمجتمع من عمليات متعددة، لبناء العقل والروح، وتمدهم بالقدرة على السير مع التغير المطلوب، وتجعلهم مشاركين فيه بكل الصور الإيجابية[١].

وتؤكد هذه الخطورة تحليلات واستنتاجات الاجتماعيين العرب، المعنيين بشئون التنمية فى تقييمهم لمسار التنمية من عام ٧٣/ ١٩٨٢ م فى دول الخليج العربى؛ حيث يؤكدون أن العرب لم يحققوا جوهر التقدم الاجتماعى، من خلال طفرة عائدات النفط لعدم الاتساق الثقافى بين الأجهزة المسئولة، وسط عدد كبير من المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية والعسكرية[٢].

(هـ) الانحراف عن الواقع :

يؤكد علماء النفس أن الانحراف عن الواقع يترادف مع الخداع وعدم الإدراك؛ حيث يطلقون لفظ الخداع على الخبرة، التى تعترى الفرد، حينما يكون هناك فرق واضح بين ما ندركه وبين الحقائق الفعلية[٣].

كما أن اختلاف أنماط التفاعل مع التراث الثقافى العمومى يسهم- بدرجة عالية- فى الانحراف عن الواقع، ويتأثر هذا التفاعل بعديد من البرامج المقدمة فى غير اتساق، خاصة إذا دخلت المؤسسات المسئولة عن الثقافة بعمومياتها فى دور التنافس، دون تخطيط لمستقبل، يهم جميع الأطراف المعنية.

ولاشك أن المدخل الأساسى لتشخيص الانحراف عن الواقع - سياسيا كان أو اقتصاديا- يرجع بالدرجة إلى عدم وجود قاعدة أساسية للعلاقات الثقافية بين أفراد المجتمع[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢

(٢) يوسف صايغ، النظرة المستقبلية لمنطقة الخليج، الرياض، مجلة التعاون عدد ٣٢ سنة ١٩٨٧، ص ٩.

(٣) أرنوف ويتبح، مقدمة فى علم النفس، ترجمة عادل الأشول وآخرين، القاهرة المكتبة الأكاديمية، ١٩٧٧ ص ١٠٢.

(٤) محمد السيد سعيد، مستقبل النظام العربى بعد أزمة الخليج، الكويت، عالم المعرفة عدد ١٥٨، ١٩٩٢، ص ٩٦.

ومن مأساة عدم الاتساق بين الأجهزة المسئولة عن الثقافة، هو الانحراف عن الواقع؛ لأن هذا الانحراف يعتبر طريقاً لتدمير الجانب الإيجابى من استراتيجية الفاعل العمومى بين الأفكار، التى تجسد آمال وآلام المجتمع، وتجعل الواقع رؤية فردية، لا تحقق التقدم المنشود للمجتمع.

وإذا كان الواقع يشكل ضرورة التوازن فى الرؤية المستقبلية لكل الأمور التى تهم الوطن.. فإن الانحراف عن هذا الواقع يفقد -بالضرورة- التوازن المطلوب، ويجعل الانفجار وشيكاً فى بعض الأزمات، التى يتعرض لها المجتمع فى مسيرته نحو التقدم؛ نتيجة الانحراف عن الواقع.

ثانياً : أهمية الاتساق الثقافى فى تحقيق التماسك والصلابة، المطلوبين للتغيير المخطط فى أهداف التربية:

انطلاقاً من الإيمان الكامل بأهمية الاتساق الثقافى كضرورة عصرية ملحة لمجابهة مخاطر التكنولوجيا، وما يمكن أن تسيطر به على فكر وسلوك الأفراد.. يصبح الاتساق أمراً لا مفر منه يصير إغفاله جريمة فى حق الوطن. ولأهمية هذا الاتساق محاور عديدة نذكر منها ما يلى:

(١) ضمان الأمن الثقافى :

يسهم الاتساق الثقافى بين الأجهزة المسئولة فى حماية الهوية المصرية والعربية والإسلامية، ومجابهة الغزو الفكرى، سواء من الداخل أو الخارج.

ويؤكد المصمودى[١] فى تناوله للثقافة العربية أنها الكائن الاجتماعى، الذى احتفظ بهويته المتميزة على مر العصور، فكانت هذه الثقافة هى الراية، التى تجتمع حولها الأمة العربية، وما تزال حتى الآن رمز قوامها.

---

(١) مصطفى المصمودى، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

فالاتساق يحقق الأمن الثقافى، من خلال حفاظه على المقومات الضرورية فى المستقبل.

كما أنه أصبح الآن ضرورة مصيرية للوقاية من خطر الغزو الثقافى؛ خاصة بعد تطبيع العلاقة مع إسرائيل؛ حيث تهدف الصهيونية دائما إلى تحطيم ثقافة العرب، من داخل بيوتهم؛ ليتطلعوا الى الثقافة الواردة إليهم، التى ما تلبث أن تفقدهم التوازن، ثم يتخبطون بحثاً عن ثقافة ماضٍ، ذهبت مع الريح، وثقافة آتية لا تحقق الهوية المطلوبة.

وتشير دراسة المصمودى إلى أن التيارات الفكرية الغربية والشرقية المناهضة للثقافة العربية تعمل بكل ما فى وسعها؛ لخدمة أغراضها المتمثلة: فى تشويه الثقافة العربية، وطمس الحقيقة، ولاخروج من هذا المأزق إلا بمناعة إعلامية وتربوية، تحقق الأمن الثقافى[١].

(٢) تحقيق التوافق بين الشخصية الفردية والهوية المصرية :

إن المواطن المصرى الذى عانى كثيراً، ومازال يعانى من أزمات اقتصادية واجتماعية، فرقت أوصاله الداخلية، لاستمراريتها وتداولها، منذ أن كانت الأمة العربية تخضع للاستعمار، والذى جعل التمزق والتخلف قاعدة استراتيجية لمستقبل الأمة العربية.

ولذا.. فنحن أمام دعوة لإعادة النظر فى الاتساق الثقافى الموحد؛ لتحقيق تنشئة اجتماعية، تحقق بناء شخصية فردية مصرية، يمكن أن تسجل عليها عبارة «ولد وتربى فى مصر»؛ بحيث تولد فيه وعياً عميقاً بأهميته كفرد، قادر على مجابهة التغيير غير المرغوب فيه[٢].

وقد أكد علماء الاجتماع أن الشخصية السوية فى المجتمع الحضرى المعقد تحتاج من المسئولين عن تربيتها إلى مهارات تقنية عالية فى تحقيق اتساق بين المؤسسات التربوية الرسمية؛ وغير الرسمية ضمانا وأمانا فى دعم التوافق بين الشخصية الفردية والهوية المطلوبة[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٢) عادل عبدالحسين، نحو تكامل تربوى بين البيت والمدرسة، الشارقة، مجلة شئون اجتماعية، عدد ٢٩، ١٩٩١ ص ٩.

(3) Neij, Sumelser (Ed.), Sociology: An Introduction John Wielg Sons, New York, 1967, P.721.

وحيث يسهم الاتساق فى دعم عمليات التوافق من خلال ما يقدمه للنشء من زاد عقلى واجتماعى يستطيع من خلاله تكوين مجموعة من المبادىء والقيم، التى بمقتضاها تظهر لديه الفلسفة الحياتية بما لا يتعارض مع انتمائه لتراثه، وبما يشبع حاجته الفكرية بصورة موحدة.

ومن ثم.. فإن فلسفة التوافق بين الشخصية الفردية والهوية المصرية لا ترفض مبدأ الحرية الفردية، وإنما تضع لها ضوابط تكفل سلامة المواطن والوطن، بحيث يتمتع المواطن بوطنه فى حدود مضمون الحرية الشخصية ووفق ظروف المجتمع، بمثابة أضلاع مثلث لأى مجتمع، وهذا يؤكد الطابع السلمى المميز للهوية المصرية، القائم على التفاعل الموجب بين الطبقات والجماعات والتضامن بين الأفراد لمواجهة الأخطار، وضماناً لاستمرار الحياة المستقرة للهوية المصرية.

(٣) تشكيل العقل الجمعى:

ان اتساق وسائل الثقافة لخدمة أهداف التغيير المخطط للتربية ساهم -بدرجة عالية- فى تقبل التغيير وتوليف الاتجاهات فى جهة واحدة، تحقق من خلالها سرعة التغيير المستهدف وتوفير الوقت والجهد والمال.

وحينما تبدو الفكرة واضحة للجميع، يصبح التغيير أمراً مألوفاً وذائعاً، ويتعذر على المتسللين القضاء على التجديد.

والمتتبع لحركات وسلاسل التحولات الدينية يعتقد تماماً فى أهمية تشكيل العقل الجمعى للقضاء على الصراع والأهداف الفرعية. ومن الأمثلة الدينية ما قامت به الحركة البروتستنتينية فى إذابة جليد العصور الوسطى؛ نتيجة للوحدة الشكلية للعقل الجمعى[١].

وكثيرا ما ساهم تشكيل العقل الجمعى فى تغيير العالم من زوايا الحياة المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأزال الفوارق الشاسعة بين الأوطان والأجيال، وسهل سبل انتشار الثقافة بين أرجاء البلاد[٢].

(١) كرين برنيتون، ترجمة شوقى جلال، تشكيل العقل الحديث، الكويت، عالم المعرفة، عدد ٨٢ سنة ١٩٨٤.

(٢) أنور عبد الملك، تغيير العالم، الكويت، عالم المعرفة، ٩٥ سنة ١٩٨٥.

واذا كان الاتساق يسهم فى تشكيل العقل الجمعى.. فإن كل فلسفة ذات فائدة سوف تكون محل احترام الجميع، مقدمين لها سبل الحفاظ على مسيرتها لغاياتها الكبرى.

ويمكن أن تتخيل رسما هندسيا فى شكل مثلث متساوى الأضلاع والزوايا؛ ليكون الاتساق فيها كاملًا ويصبح الاختيار لأهمها صراعا يجب إيقافه لصالح الجميع.

والشكل التالى يشير إلى أن هناك ضرورة للاتساق الثقافى بين الأجهزة بصورة فعالة وموضوعية، وليست لغرض معين وهدف مؤقت؛ حتى يكتمل البناء وترتفع صورته.

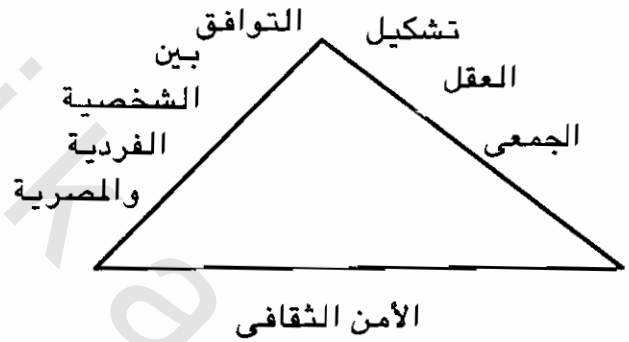

وإذا كانت التربية هى تجميع للشعب الواحد فى ثقافة عمومية، تؤكدها الملامح المشتركة فى السلوك والتفاعل، وتوثيق الروابط التى لا ترى بالعين المجردة لكى تجابه كل مظاهر الانحراف عن السواء السلوكى للمجتمع.. فإن التغيير المطلوب من خلال المؤسسات التربوية النظامية فى غاية الأهمية، والتى لا تحقق أهدافها دون مساعدة قوية من الأجهزة الإعلامية المسئولة عن البث الثقافى؛ لتحقيق التماسك والصلابة فى الاتجاهات الجماعية.

والتربية باعتبارها ظاهرة اجتماعية.. فهى فى حاجة مستمرة إلى الدعم المعنوى من المؤسسات الثقافية الأخرى، التى تقدم كل يوم صورة جديدة من حياة المجتمع والشعوب والعالم، ويمكن لها من خلال عمليات الاتساق أن تقدم النصح والإرشاد للصور، التى لا تتفق وأهداف التربية، من خلال توعية الرأى العام المحلى والعربى والإسلامى؛ لنستشعر أننا أمة لها تراثها الذى نعتز به، ولها القدرة على جعل المجتمعات والجماعات المناهضة أن تتفهم، وتدرك الطابع الذى نهدف إليه، كنموذج نحترمه، كما اتفق السابقون على النموذج الإسلامى

فى عموم ثقافتهم، ولم تتصارع الهيئات فى إفراغ جزء منه، مقابل خدمة أغراض شخصية، وبهذا أصبح لها القدرة على تحقيق ذاتها، التى هز احترامها مشاعر ووجدان العالم الإسلامى.

ثالثاً : مضمون التغيير المخطط لأهداف التربية

يجب أن يهدف التغيير المخطط للتربية من خلال الاتساق الثقافى إلى ما يلى:

(أ) تحققيق المصرية:

فى مصر يكتب الدكتور حسين مؤنس إعجاباً وفخراً فيقول: «فى البدء كانت مصر قبل الزمان ولدت... وقبل التاريخ وجدت هنا بداخل كل شىء: الزراعة، والمعمار، والكتابة، والورق، والهندسة، والقانون والنظام والحكومة»(١).

بهذه الكلمات القليلة استطاع المؤرخ أن يحقق لمصر كل شىء، وبكل شىء، ولا أقل من ذلك أن يهدف التغيير المخطط للتربية فى تبنى قضية «تحقيق المصرية» فى كل شىء فى حياة الإنسان، منذ مولده حتى مماته؛ ليشعر بين الحياة والممات أنه عاش مصرياً ومات مصرياً.

وتحقيق المصرية يحتاج إلى مزيد من العمق فى التغيير لأهداف التربية؛ حتى يصبح موضوعياً بدرجة عالية، وينطلق من الأعماق، ويبتعد عن الذاتية والهوى والمصالح المغرضة؛ ليكون الجميع مخلصين لمصر ترتفع بهم إلى أعلى درجة فى القوى الجاذبة، التى تضع فى دائرتها كل مصرى بمختلف الفروق الفردية والاجتماعية والاقتصادية.

ويمكن للتربية أن تسهم فى تحقيق المصرية مصريين من خلال المقارنة بين المحاسن والعيوب واتساع صورة المحاسن فى نفوسهم وتقليل حجم العيوب، وحينئذ يعتقد الفرد أنه مصرى ولا يرضى لغير ذلك بديلا.

وحركة العصر التى تختل فيها الموازين كل لحظة بين القوى السياسية والاقتصادية بين التجمعات والتكتلات، بين الحرب والسلام، بين الصمت والكلام، تحتاج إلى مزيد من التربية

---

(١) سعيد إسماعيل على، الفكر التربوى العربى الحديث، الكويت، عالم المعرفة ١١٣، ١٩٨٧، ص ٢٤٤.

المصرية التى تحقق الرضا بالمصرية، غاضة الطرف عن الشرق القريب أو الغرب البعيد، مؤمنة بأن كل جهد تبذله من أجل مصر سوف يكون لها عاجلاً أو آجلاً.

والحديث عن التغيرات المعاصرة عميق، ويحتاج إلى عديد من البحوث المنفردة، ولكن نحاول أن نقول إن أهم سمات التغيرات الحادثة هو الغزو الثقافى المبرمج فى كثير من أدوات الحياة اليومية، والتى لا غنى عنها لأى فرد ارتفع مستواه أو انخفض، ومن مخاطر الغزو الثقافى هو الانفصال عن الأوطان، وللاستعمار مصلحة وهدف فى ذلك.

ومن ضرورات التغيير المخطط للتربية أن تربط الفرد بالجماعة، والجماعة بالمجتمع والمجتمع بثقافته التى كونها عبر الأجيال، والتى فيها حياته ونشاطه فى الوطن بكل مقوماته وخصائصه.

وموضوع التربية فى حد ذاته من حيث هو مجموعة الخبرات والاتجاهات والمعارف والسلوك والقيم، قادر على تحقيق المصرية للمصريين، منذ المهد حتى اللحد؛ حتى لا يوضع الأمر كله على كاهل التربية النظامية وحدها وحتى يكون الاتساق الثقافى سمة وشعاراً وسلوكاً تتحقق من خلاله مظاهر المصرية فى الحديث فى المعايشة، فى الآمال، فى الآلام، فى المستقبل. وبذلك نأمل أن يحقق التغيير المخطط المصرية، التى أصبحت غاية تتطلع إليها لإصلاح ما أفسده الاستعمار المتواتر من عهد الأتراك إلى عهد قريب.

(ب) تحقيق العربية:

وتقصد بهذا المفهوم الدعوة إلى تحقيق الكيان العربى، الذى يمكن من خلاله العودة إلى الماضى فى إطار حركة محسوبة للامام؛ للاستفادة من التقدم الغربى. وفى هذه الدراسة لسنا فى حاجة الى تتبع علمى لمتى وكيف نشأت القومية العربية وظروف نشأتها، ولكن ما يهمنا هنا أن نأمل أن نكون كما كان العرب فى صدر القرن الأول الهجرى؛ حين أصبح كل الموالى والعجم فى حاجة ماسة إلى أن يكونوا عرباً ليس بعداً عن الاضطهاد والظلم من العرب، ولكن حبا وتقربا لذلك الكيان الإنسانى، الذى جمع فى بوتقته كل الألوان والأجناس، وجعل الاختلاف بينها على أساس العمل والعبادة: ولقد كان القرن الأول الهجرى قمة فى

عطائه؛ لتحقيق الكيان العربى فى الشرق والغرب، وظهرت فيه الروابط الواضحة وحقيقة الثقافة العربية المتجانسة، والتى تتخذ قوتها من شعور الأفراد بوحدتهم الشعورية، من خلال تجانس النظم الأساسية (اللغة – الدين – العادات – والتقاليد). نظراً لأن هذه النظم الأساسية كانت تتوافر فى الوطن العربى بدرجة عالية؛ مما يسهم فى تحقيق التماسك الاجتماعى وشعور الجميع بالروابط المعنوية التى يزيد عمرها كثيرا من عمر الروابط المادية[1].

وشعور الأفراد بالروابط المعنوية من أهم الدعائم الأساسية، التى يمكن من خلالها تحقيق العربية.

وتتحقق العربية بعيداً عن المفاهيم السياسية بجعل التربية محتوىً وسلوكاً، يمكن من خلالها تدعيم شعور الأفراد بالروابط الثقافية والآمال العليا والرغبة فى سبيل استمرارها، بما تكلف الفرد من جهد ووقت ومال، إذا ظهر الخطر عليها من أى عدو. وليس هناك مجال لتأكيد موضوعية الأمة العربية فمقومات الاتحاد تتوافر لهذه الأمة بغير حدود، ولكنا فى حاجة إلى تأكيد موضوعية أن الاستعمار جاهد لكى يفصل اتحاد الأمة العربية، ليقينه بدور المقومات الثقافية للأمة العربية فى اتحادها، وهذا ما يخشاه، وسوف يظل يخشاه مادامت تلك المقومات قائمة. وإذا كان العالم كله يعترف غاضباً بمقومات الأمة العربية، فنحن فى حاجة الى استغلال هذا الغضب، لتأصيل روح مقومات العربية فى نفوس الناشئة مدركين أن الحدود السياسية ما هى إلا خطوط وهمية خطها الاستعمار بين الأهل والاخوة؛ لفصلهم وتمزيق وحدتهم ووضع الألغام بين الخطوط الوهمية؛ حتى لا يتقدم الأخ لأخيه رغبة فى نجدته أو طلباً فى المساعدة. والأمثلة على ذلك كثيرة بين مصر والسودان، ودول الخليج العربى.

والتربية إذا كانت تهدف الى تغير مخطط.. فيجب أن تضع فى الاعتبار كل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التى يمر بها الوطن العربى فى كل إقليم، متخذة من هذه المشاكل دروعاً واقية لمزيد من الاتصال. هذا ما نسعى إليه حقيقة... لا كلاماً... لا شعارات فنحن نؤمن ونعتقد بأننا عرب على الخريطة، ونفتقد ذلك عند الدخول للحدود فى أى الاوطان العربية.. هذا أخطر مظاهر العصر، الذى نعيشه نحن جماعة المثقفين المدركين تماماً لحركة العصر فى الشرق والغرب.

---

(١) طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، مجلد ٩، ١٩٧٣ ص ١٨.

ويجب أن يستهدف التغيير المخطط للتربية تحقيق العربية سلوكاً وعقيدة، وأن يتخلى عن المظاهر الخادعة، التى تمثل السراب كلما ذهبنا اليهما لم يتحقق إلا التعب والضياع، والجيل الجديد يمكن أن يتقبل الجديد المثمر إذا شعر أن مصلحته تتحقق، وهذا دور الإنسان الثقافى. وتحملت مصر والمصريون الدور الريادى فى تحقيق العربية، مع علمنا بأننا نتهم بأننا فراعنة عند العرب، ولكن ذلك لا يثنينا عن عزمنا الأكيد فى الواجب الملقى على كاهل كل معلم فى مصر للدول العربية، وكل رسالة ثقافية تنبعث من أرض الكنانة لتقول للعرب نحن عرب بكلامنا وسلوكنا وديننا وتقاليدنا[1].

(جـ) تحققيق الإسلامية:

لقد اهتم الإسلام منذ فجر ظهوره برسم منهج للحياة؛ لإيجاد مجتمع مسلم يعيش فيه غير المسلمين فى أمان وسلام، وهذا أدق معانى الإسلامية، وكان من الطبيعى أمام حركات الغزو الصليبى والاستعمار الأوربى أن يصبح الإسلام عدواً للغرب فى كل وقت. ولذلك زادت حركات التغريب، والإدماج والتبشير، وقد كانت هذه الأنساق تمثل طرحاً مضاداً للإطار الحضارى الإسلامى من خلال الثقافة الإسلامية[2].

من أجل تحقيق الإسلامية فى الوطن العربى، قام عديد من المؤسسات والمعاهد المتنوعة؛ لتشارك فى بناء الشخصية المسلمة، وفقاً لما جاءت به العقيدة الإسلامية.

وإذا كانت حركة العصر تقتضى أن يكون فيها كل مسلم على وعى وإدراك بأهم المتغيرات الحادثة.. فلابد أن نستفيد نحن المسلمين من حركة التغيرات؛ لتحقيق الإسلامية بكل ما فيها من اتساع وشمول، ونجعل من حركة العصر تغيرا لصالح المسلمين فى كل مكان وليس فى الوطن العربى فقط وإدراك أن أعداء الإسلام لا يضربون الإسلام فى دياره فقط، بل يوجهون الطعنات المستمرة للإسلام خارج حدوده، وهذه فلسفة عميقة؛ فالإسلام دين العامة وهو سهل، يسير دخوله فى نفوس العالمين فلذلك يجتهد الأعداء فى قتله.

---

(١) هشام أبو قمره: دور التعليم فى تنمية الذات العربية، بيروت، مجلة المستقبل العربى، عدد (٤٠)، ١٩٨٢ ص ١١٢.

(٢) يوسف خليل يوسف: القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها، القاهرة، دار الكتاب العربى ١٩٦٧ ص ٢٧

وحركة العصر بما فيها من تغيرات لظروف المجتمع العربى، والتى حققت فى بعض الأقطار نهضة اجتماعية شاملة، أدت إلى فقد كثير من القيم الإسلامية على حساب الحضارة والنهضة؛ مما دعا إلى النظر إلى حركات الإصلاح الدينى على أنها تطرف وغزو سياسى ضد بعض الحكام والحكومات، ولكن على التغيير المخطط للتربية أن يحدث التوافق التام بين الفكر الإسلامى الأصيل وحركات الإصلاح الحالية؛ لكى يعى الأعداء إنسانية الإسلام وسعة أفقه فى قبول كل التقدم، والاستفادة منه بشروط ميسرة، لا تضر المسلم أو غيره من سكان ديار الإسلام.

ومن أهم أهداف التربية التى تحقق عمومية وشمولية الإسلام ما يلى :

(١) وجوب تعليم العلم على كل مسلم ومسلمة.

(٢) ضرورة الإصلاح الأخلاقى فى كل مراحل العمر.

(٣) الربط بين العلم والنهضة العامة للأمة والفرد.

(٤) التكامل بين العلوم الدينية الدنيوية.

(٥) الإخاء والحب والتعاون دون تفريق بين الألوان والأجناس.

ومن الأمور المهمة التى تحقق أهداف التغيير المخطط، ضرورة الاتساق الثقافى بين الأجهزة المسئولة فى كل مكان من ديار الإسلام؛ لتحقيق الدفاع المناسب لردع خطر الغزو الواقع، ضد الإسلام والمسلمين فى كل مكان فى العالم.

التوصيات والمقترحات :

من خلال المخاطر التى تنجم عن عدم الاتساق، تتضح أهمية الاتساق الثقافى، ونوجز أهم التوصيات فيما يلى:

أولا: بالنسبة للأهداف التربوية :

١ – على القائمين على العملية التربوية النظامية توضيح الأهداف التربوية، التى تتفق والتغيرات المتسارعة التى يتسم بها العصر فى صورة إجرائية.

٢ – توصيل الأهداف التربوية المتفق عليها إلى جميع الهيئات المسئولة عن الإعلام والثقافة.

٣ – يجب أن تكون الأهداف التربوية واضحة لجميع العاملين فى المجال التربوى، والجهات المعنية التى تسهم فى الإثراء الثقافى.

ثانيا: بالنسبة لأجهزة الإعلام :

١ – دعم المجلس الأعلى للثقافة والإعلام بأعضاء لهم خبراتهم فى الجانب التربوى.

٢ – تشديد الرقابة على المصنفات التى تخالف ميثاق المجلس الأعلى؛ خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية التى تؤثر على النواحى التربوية.

٣ – التركيز على إظهار أهمية عموميات الثقافة فى البث الإعلامى.

٤ – يجب أن يكون هناك تناسق بين أجهزة الإعلام المختلفة كأجهزة لها تأثيرها على أفراد المجتمع؛ حتى لا يحدث الخلل فى المجتمع.

ثالثا: بالنسبة لبرامج التعليم :

١ – تشكيل لجنة دائمة للإشراف على المناهج فى كل المراحل التعليمية.

٢ – توحيد المقررات اللغوية فى مناهج المراحل التعليمية.

٣ – التناسق بين مخططى المناهج لتحقيق الترابط الثقافى بين جميع المواد الدراسية.

٤ – أن تهتم المناهج المدرسية بإظهار الجوانب، التى تنمى روح الوطنية والتمسك بالقيم والعادات والتقاليد المصرية والعربية والإسلامية.

obeikandl.com

المراجع

أولا: المراجع العربية:

١ – أحمد عبد المعطى حجازى، خطورة الاختلافات اللفظية على أبناء الوطن العربى، الكويت، دراسة منشورة بجريدة الصباح، ١٧ أغسطس، ١٩٨٤.

٢ – أرنوف ويتيج، مقدمة فى علم النفس، ترجمة عادل الأشول وآخرين، القاهرة، المكبة الأكاديمية، ١٩٧٧.

٣ – أنور عبدالملك، تغيير العالم، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٩٥، ١٩٨٥.

٤ – سعد الدين إبراهيم، نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية، القاهرة، المؤتمر العلمى الثانى للاقتصاديين المصريين، ١٩٧٨.

٥ – سعيد إسماعيل على، الفكر التربوى العربى الحديث، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١١٣، ١٩٨٧.

٦ – سليمان حزين، خطط الإصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى، القاهرة، مطبعة مصر، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية، ١٩٥٠.

٧ – شاهيناز طلعت، دور وسائل الإعلام فى التنمية الاجتماعية، رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

٨ – طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، مجلد ٩، ١٩٧٣.

٩ – عادل عبدالحسين، نحو تكامل تربوى بين البيت والمدرسة، الشارقة، مجلة شئون اجتماعية العدد ٢٩، ١٩٩١.

١٠ – عبدالعزيز الرفاعى، الطابع القومى للشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١.

١١ – عبدالله القويز، التواصل الثقافى بين دول التعاون الرياضى، مجلة التعاون، ع٣، ص ١، ١٩٨٦.

١٢ – عزت حجازى، الشخصية المصرية بين السلبية والإيجابية، القاهرة، مجلة الفكر المعاصر، العدد ٥٠، ١٩٦٩.

١٣ – كرين برنيتون، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقى جلال، الكويت، عالم المعرفة العدد ٨٢، ١٩٨٤.

١٤ – كمال الدين حسين، وسائل الاتصال ودورها فى تنمية المجتمع الريفى، القاهرة، المؤسسة العامة لاستزراع وتنمية الأراضى، ١٩٧٥.

١٥ – محمد السيد سعيد، مستقبل النظام العربى بعد أزمة الخليج، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٩٥٨، ١٩٩٢.

١٦ – محمد الرازى، مختار الصحاح، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٢.

١٧ – محمد الهادى عفيفى، التربية والتغيير الثقافى، القاهرة، الأنجلو، ط ٤، ١٩٧٥.

١٨ – محيى الدين صابر، دور الجامعة العربية فى التوجيه الثقافى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.

١٩ – مصطفى المصمودى، النظام الإعلامى الجديد، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٩٤، ١٩٨٥.

٢٠ – هشام أبو قمرة، دور التعليم فى تنمية الذات العربية، بيروت، مجلة المستقبل العربى العدد ٤٠، ١٩٨٢.

٢١ – وزارة التربية والتعليم، القانون ٢١٠ لسنة ٥٣ بشأن التعليم الابتدائى.

٢٢ – يوسف خليل يوسف، القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها، القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧.

٢٣ – يوسف صايغ، النظرة المستقبلية لمنظقة الخليج، الرياض، مجلة التعاون، العدد ٣٢، ١٩٨٧.

ثانيا : المراجع الأجنبية:

1 - Neilj, Sumelser (Ed.), Sociology : in Introduction John Wiely Sons, New York, 1967, P. 721.

obeikandl.com